**22جامعة يحيى فارس بالمدية**

**كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية**

**قسم العلوم الإنسانية**

**مذكرة بعنـــوان:**

# دراسة كتاب المدن العربية الكبرى في العصر العثماني لأندريه ريمون

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ حديث ومعاصر

**إعداد الطالبتين:**

- عائشة بلحاجي
- بركاهم بادر

**إشراف الأستاذ:**

كمال بوزريعي

**السنة الجامعية:**

**1438ه/1439ه**

**2017م/2018م**

***قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من إصطنع إليكم معروفا فجاوزه ، فإن عجزتم عن مجازاته فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد شكرتم ، فإن الله يحب الشاكرين" .***

***ليس منا من وصل وشق لنفسه طريق النجاح والتفوق دون أن تكون وراءه أيادي قادته إلى ماوصل إليه ، ومن هنا كان لزاما علينا ، أن نقف وقفة وقار إلى من كان سندا لنا طيلة مشوارنا الدراسي ، وسببا في وجودنا الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما وألبسهما لباس الصحة و العافية ورزقنا وإياهم جنة الخلد ،***

***كما نشكر من علمنا حرفا وأنار لنا طريق العلم والمعرفة ، كل أساتذتنا ( الابتدائي ، المتوسط ، الثانوي ) ، وكل أساتذة جامعة يحي فارس التي لم يبخلوا علينا في تلقينهم لنا أصول البحث العلمي وأولونا إلى ما نحن عليه اليوم ، أخص بالذكر أستاذنا الذي أشرف على هذه المذكرة " كمال بوزريعي " ونقول له : شكرا لك أستاذ على كل شيء ، و وجعلك الله ذخرا للعلم والمعرفة .***

***وفي الأخير نتقدم بالشكر الخالص إلى كل من عائلة بلحاجي ، و عائلة بادر وإلى كل الأصدقاء المقربين وبالخصوص عمال المكتبة ، و إلى كل من ساعدنا ولو بابتسامة صادقة .***

## اهداء

بأنامل تحيط بقلم ، أعياه التعب والأرق ، ولا يقوى على الحراك ، يتكأ على قطرات حبر مملوءة بالحزن

والفرح في آن واحد ، حزن يشوبه الفراق بعد التجمع

وفرح لبزوغ فجر جديد من حياتي هو يوم تخرجي ، اتطلع فيه لما هو آت ، من همسات هذه الدنيا المليئة

بالتفاؤل والأمل المشرق .

اليك أيها الأب ، الذي علمتني عندما تطفؤ الأنوار ، لابد من إضاءة الشمعة .

إهدائي إليك أيتها الأم ، التي كنت عونا ودفىء بين أضلعي ، إلى سلطانة حياتي جدتي ، إلى عماد

أسرتي جدي رضوان حياتي ، إلى جميع من يحملون ذكريات شبابي وطفولتي " أخواتبي وإخوتي " إلى "

زوجاتهم وأزواجهم " و " وبناتهم وأولادهم "إلى من ضاقت السطور عن ذكراهم ، فوسعهم قلبي من

صدقاتي ، وزميلاتي إلى كل من كان النجاح طريقه ، والتميز سبيله .

" إلى رفيقة دربي وأختي عائشة"

إهداء

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي حقها .

إلى من لايمكن للأرقام أن تحصي فضائلها .

إلى والدي العزيزان " عبد الرحمان ، زهراء " أدامهما الله لي .

إلى إخوتي وأخواتي ( مراد ، عبد القادر ، حكيم ، كمال ، محمد ، رزيقة ) وإلى ابن أختي آدم أدامهم الله إلى جانبي .

إلى من سيشاركني حياتي "كمال " حفظه الله ورعاه ، وعائلته الكريمة .

إلى صدقاتي و وزميلاتي .

إلى رفيقة دربي وصديقتي و أختي " بركاهم "

إلى كل طالب للعلم

إلى كل من سقط من قلمي سهوا ، أهدي هذا العمل المتواضع .

**قائمة المختصرات:**

| | |
|---|---|
| تر | ترجمة |
| ج | جزء |
| دت | دون تاريخ |
| دط | دون طبعة |
| ص | صفحة |
| ط | طبعة |
| م | ميلادي |
| هـ | هجري |

# المقدمة

**مقدمة**

إن اهتمام المؤرخين وعلماء الغرب بدراسة المدن العربية والإسلامية ، ضمت في مجال الدراسات الأكاديمية من أكثر الموضوعات التي تثير جدلا في الأوساط العلمية ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى مدى مصداقية الباحث، والمؤرخ الغربي من خلال الموضوعات المطروحة إتجاه المدن العربية ( مدن المشرق ، ومدن المغرب ) ، في فترة الدولة العثمانية الحديثة و تحديدا من بدايات القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر ، ولعل أندريه ريمون Andrè Raymond هو أحد المؤرخين والباحثين المهتمين بدراسة المدن العربية في العهد العثماني .

## دوافع اختيارالموضوع :

يعود اختيارنا لكتاب المدن العربية الكبرى في العهد العثماني لأندريه ريمون لجملة من الأسباب والدوافع لعل من أبرزها :

. الرغبة في التعرف على شخصية أندريه ريمونAndrè Raymond كونه مستشرقا درس المدن العربية وأحوال العرب إبان التواجد العثماني بها .

. الرغبة الذاتية في التعرف على، واقع المدن العربية عامة والجزائر خاصة، في العصر الحديث.

. إعطاء المؤرخ (أندريه ريمون Andrè Raymond ) جانب من الدراسة الأكاديمية حول موضوع " المدن العربية الكبرى في العصر العثماني " الذي هو عنوان مذكرتنا .

## أهمية الموضوع:

تكمن أهمية دراسة كتاب "المدن العربية الكبرى في العصر العثماني" للمؤرخ أندريه ريمون Andrè Raymond فيما يلي :

1- كونه مرجعا من الدرجة الأولى ، وذا قيمة علمية يعتمد عليه الباحث الأكاديمي في الفترة العثمانية ، أثناء دراسته للمدن العربية ،بحيث يستطيع الباحث من خلال كتابه التعرف على المستشرق كشخصية أجنبية أرخت للدول العربية ، وطريقة تأريخه وأسلوبه في طرح موضوعاته .

2-إبراز أهمية التواجد العثماني في البلاد العربية من خلال دراسته المعمقة لهذه المدن(مصر، سوريا، العراق، فلسطين، تونس، الجزائر)، من حيث الأوضاع السائدة بها أثناء التواجد العثماني.

**إشكالية البحث:**

تعتبر المدرسة الغربية التاريخية في تناولها لموضوع الدولة العثمانية وعلاقتها مع الدول العربية في المشرق او في المغرب العربي جدلية قائمة بين المؤرخين العرب انفسهم بحسب خلفياتهم الايديولوجية وثقافتهم التاريخية المختلفة الامر الدي سبب الوقوع في اشكالية الافراط والتغريط والغلو والتقصيرفي التعامل مع مثل هذه المصاد من حيث الدافع الحقيقي لها ومن حيث القرب والبعد من الموضوعية التي يجب على المؤرخ ان يكون فيها منصفا مما ولد افكارا مختلفة عند المؤرخين العرب حول الوجود العثاني في الدول العربية تبعا للمدرسة الغربية مما جعل دراسة كتابة اندريه ريمون Andrè Raymond من الاهمية بمكان من اجل الوصول الى الاسئلة المتفرعة من الاشكالية وهي كلآتي :

1 . ما مدىاقتراب المؤرخ من الحقيقة التاريخية العلمية ؟.

2 . ما هو موقف أندري ريموند من قضايا و أحداث المدن العربية في العهد العثماني ؟ .

3 . ما هو المنهج المتبع من طرف ريموند في كتاباته للتاريخ العربي؟ .

**الدراسات السابقة :**

تعتبر دراسة أندريه ريمون Andrè Raymond للمدن العربية دراسة جديدة ، حيث يضع الدراسة في قالب جديد بعيد عن الذين سبقوه أمثال سوفاجيه الذي كتب عن مدينة حلب حيث توسع في دراسة المدينة السورية الكبيرة ،و طبع الكتاب سنة 1941م ، في باريس حيث قام بتسجيل تطور حلب المدني

منذ كانت تجمعا سكانيا متواضعا حتى توسعها شرقا في العهدين السلجوقي والروماني ، والعهود الأيوبية والمملوكية والعثمانية ، يعطينا فكرة واضحة عن آثارها القائمة من بنائها وتاريخ إنشائها وقيمتها الفنية ، كما أننا نجد عبد الرحمان الجبرتي في كتابه" عجائب الآثار في التراجم والأخبار " فقد كان شاهد عيان للحملة الفرنسية على مصر وللسنين التي عقبتها بقليل ، وقد ورد في كتابه هذا تراجم كثيرة من المشاهير بدقة وباسهاب يبتدىء من فتح السلطان سليم العثماني مصر وينتهي إلى منتصف حكم محمد علي باشا ، وهو مرتب على شكل وقائع يومية ، وهو تكملة وتتمة لتاريخ ابن اياس . إضافة إلى تاريخ تونس نجد " المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس " لعبد الله محمد بن ابي دينار ، وهو أحد أهم المصادر لتاريخ تونس في العصر الحديث وخاصة القرن السابع عشر ، وهو يمدنا بمعلومات اولية عن أواخر العهد الحفصي وفي العهد العثماني . اضافة إلى البرت حوراني "كتابه " تاريخ الشعوب العربية " أهم وأشهر أعماله وقد نشر لاول مرة عام 1991م فلاقى رواجا كبيرا ، وقد ترجمه كريم عزقول ، ونشر من قبل دار النهار . بيروت . وهذا الكتاب يلخص تاريخ الشعوب العربية . وهنا قام ريمون بالاعتماد على ماسبق وعلى مؤلفات ومصادر أخرى وضم المدن العربية في كتاب اخر لتكون دراسة جديدة للمدن العربية في العهد العثماني .

**منهج البحث المتبع**:اعتمدنا في هذه الدراسة على منهجين وهما:

**المنهج الوصفي التاريخي** : الذي حاولنا من خلاله وصف ، واستعراض أهم مواضيع الكتاب بالإضافة إلى وصف شخصية أندريه ريمون.

**خطة البحث المعتمدة:**

تتكون هذه المذكرة الموسومة ، بدراسة كتاب" المدن العربية الكبرى في العصر العثماني". للمؤلف أندريه ريمون Andrè Raymond ، من مقدمة، ثلاثة مباحث وخاتمة ،بالإضافة إلى مجموعة من الملاحق و أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها لمقارنة أهم مواضيع الكتاب .

بحيث تناولنا في المقدمة ، الخطوات المنهجية المطلوبة في الرسالة ، كتالعريف بالموضوع ،دوافع اختيارنا له ،واستعراضنا لإشكالية الموضوع و المناهج المتبعة في هذه الدراسة ، وأهميته ، وأهم الصعوبات التي واجهتنا.

فالمبحث الأول ، جاء بعنوان دراسة حول الكاتب والكتاب ، والذي تناولنا فيه دراسة المؤرخ من حيث المولد و النشأة ،دراسته الأكاديمية ، أهم الشخصيات العلمية التي ساعدته على إنجاز بحوثه إضافة إلى المؤسسات الأكاديمية و العلمية التي استفاد منها ، وأهم أعماله ، والهدف من هذا هو إعطاء لمحة شاملة عن حياة المؤلف ، ثم تطرقنا إلى دراسة الكتاب ، من حيث الشكل الخارجي و المحتوى والهدف من ذلك هو إعطاء بطاقة فنية عن الكتاب .

أما المبحث الثاني ، فقد اخترنا له عنوان ، دراسة أهم مواضيع الكتاب . بحيث ارتأينا أن نعطي ،لكل فصل ، فكرة واضحة عن ما تطرق له المؤلف أندريه ريمون من خلال كتابه . والتي شملت عدة جوانب (أوضاع المدن العربية قبل وأثناء التواجد العثماني بها ، التنظيمات الإدارية للمدن العربية ، الواقع الإجتماعي ،والاقتصادي والجانب العمراني لهذه المدن في الفترة العثمانية).

في حين تطرقنا في المبحث الأخير ، إلى تقييم ومقارنة بعض مواضيع الكتاب، وذلك من خلال تقييمنا للكتاب من ناحية أهميته، ومقارنة بعض مواضيعه بمواضيع مصادر أخرى.

كما اعتمدنا ، في دراستنا على جملة من المصادر والمراجع ،التي ساعدتنا في بحثنا نذكر منها :

أندريه ريمون Andrè Raymond ، الذي اعتمدنا عليه بالدرجة الأولى ،بما أنه محل دراستنا "المدن العربية الكبرى في العصر العثماني "،وأيضا ابن إياس "بدائع الزهور في وقائع الدهور ".

أما بالنسبة للمراجع ، فقد اعتمدنا على فاضل بيات" دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية " ، بالإضافة إلى مؤلفه الثاني الذي اعتمدنا عليه " الدولة العثمانية في المجال العربي دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر (مطلع العهد العثماني / أواسط القرن 19م ) ، وهذان الكتابان ساعدانا على دراسة أوضاع المدن العربية في الفترة

العثمانية ، و كذلك الدكتور الغالي الغربي في كتابه " دراسات في تاريخ الدولة العثمانية " ديوان المطبوعات الجامعية وفيه الأوضاع الإقتصادية للبلاد العربية أثناء الحكم العثماني . و عبد العزيز محمد عوض ،أحمد عزت عبد الكريم "الإدارة العثمانية في ولاية سوريا ".

أما بالنسبة للموسوعات ، فاعتمدنا على صابان سهيل " المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، التي ساعدتنا على شرح المصطلحات ، وكذلك موسوعة المستشرقين لعبد الرحمان بدوي .

**صعوبات البحث:**

واجهنا العديد من الصعوبات ونحن بصدد إنجاز هذه المذكرة يمكن تلخيصها النقاط التالية:

1- صعوبة الحصول على النسخة الورقية للكتاب ، من خلال زيارتنا لبعض المكتبات ومعارض الكتب .
2- قلة المصادر ، التي تتناول حياة المؤلف أندريه ريمون وسيرته.
3- صعوبة الدراسة النقدية ، للمؤرخ وكتابه.
4- صعوبة ضبط العناوين ،نظرا لتداخل مواضيع الكتاب.

# المبحث الأول:دراسة الكاتب و الكتاب.

**1/دراسة الكاتب**

**2/دراسة الكتاب**

## المبحث الأول:دراسة الكاتب والكتاب.

### 1. دراسة الكاتب :

### أ . مولد ونشأة أندريه ريمون: Andrè Raymond

ولد أندري ريمون Andrè Raymond ، في فرنسا في السابع من أغسطس عام 1925م ، عالم ومؤرخ ومستشرق فرنسي ، بروفيسور ، وهو إنسان لطيف متواضع وعالم محب للعرب ومدافع عن حقوقهم ، ورجل دؤوب . له دراسات تاريخية عديدة في تاريخ مصر ، من أكبر الباحثين والمكتشفين الذين غيروا النهج الإقتصادي والتاريخي لمصر . من خلال أفكاره وكتبه وبحوثه ، التي نالت رواجا كبيرا ، واستطاعت أن تغير في الوضعية المنتهية لمصر القديمة ،وله دراسات كثيرة حول المدن العربية الكبرى.[1]

### ب.دراسته الأكاديمية:

حصل ريمون Raymond ، على درجة الليسانس في الاداب ، من جامعة السربون عام 1944م . ثم دبلوم الدراسات العليا في التاريخ ، من جامعة السربون عام 1945م . أنهى دراسته التي تؤهله للتدريس في المدارس الثانوية ، والإنخراط في دراسات أخرى متقدمة عام 1947م . وكانت الدلائل تشير إلى أنه سيركز مجال إنضمامه ، في دراسة تاريخ تونس في العصر الحديث آنذاك . طلب ريموند أن يذهب إلى تونس التي وصلها عام 1947م ، والتحق للعمل كمدرس ،في ليسيه كارنو أكبر معاهد التعليم الفرنسية في تونس حينئذ . ولكنه بدأ يدرك بعد سنتين من العمل ، انعدام جدوى تواجده في وسط فرنسي فطلب الانتقال إلى المدرسة الصادقية ، المدرسة الثانوية الوطنية وكانت مرحلة مهمة في حياته أتاحت له التعرف عن قرب على قضايا الوطنية التونسيةوالإحتكاك بالواقع التونسي وهكذا بدأ اهتمامه بتاريخ تونس في القرن التاسع عشر منأجل الدراسة ، ثم حصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة إكسفورد عام 1954م برسالة موضوعها السياسة البريطانية تجاه تونس (1830-1881).[2]

---

1-ابراهيم خليل الغلاف، د –ع تاريخ النشر 26-03-2018 "مقال" تاريخ 15 افريل 2018(أنظر الملحق رقم 1ص 62 ).

2-. h ttps / journal . opendition . org / remmm / 7945/ 16 avril 2018 / 10:30

في سنة 1955م ، حصل ريمون على وضع LUSIONNAIREفي المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة ، فكانت هذه السنة هي الأولى، تعرف له على مصر والقاهرة . فاتصل قبل مغادرته إليها غاستون فييت ، الذي نصحه أن يكتب رسالته الرئيسية عن تونس ، في القرن التاسع عشر ، والرسالة الصغيرة عن الطوائف في مصر إعتمادا على تاريخ الجبرتي .

إكتشف ريمون ضمن وثائق الحملة الفرنسية على مصر المحفوظة في أرشيف فانسان ، قائمة بالطوائف المهنية في القاهرة سنة 1801م. تقدم تعداد لمنظمات التجار والحرفيين في مدينة القاهرة ،سجلت لسلطات الإحتلال الفرنسي ، يقول ريمون :" كنت عند وجودي في القاهرة ،أمضي نصف وقتي في مطالعة أرشيف المحاكم الشرعية ، والنصف الأخر في التجول في المدينة القديمة ،لأعيد تصور وضع القاهرة الذي كانت عليه في العصر العثماني . ثم حصل على دكتوراه الدولة من جامعة سربون عام 1972م برسالة موضوعها الحرفيون والتجار ، في القاهرة في القرن الثامن عشر.

قام ريمون بالتدريس بكلية سان أنتوني بجامعة إكسفورد ، وجامعة بوردو وهارفادوبرنستسون ،وكذلك أسس معهد بحوث العالم العربي والإسلامي ، وترأسه بين سنتي(1987–1991م) .

كما أنه عمل مدرسا في المدارس الثانوية في فرنسا ، ومن أجل الدراسة ذهب أندريه ريمون لمقابلة شارل أندري جوليان أول شخصية مؤثرة في حياة ريمون ، وأكبر متخصص في تاريخ مقاومة الإستعمار .

في جامعة السربون ، الذي لم يتحمس كثيرا للموضوع ، يبدو أن الفترة التي أمضاها ريمون في إكسفورد أثرت في توجهه بفضل محاضرات ألبرت حوراني ، يقول ريموند : "لقد كان حوراني هو الذي جعلني أفهم تاريخ الدولة العثمانية ، في الإطار الذي أتممت فيه فيما بعد دراساتي ، فكل مجرى حياتي الدراسية كمؤرخ للعالم العربي الحديث ، كان نتيجة لتدريسه أنموذجه حيث أنه كان مشرفا على أطروحة الدكتوراه عن سياسة بريطانيا الخارجية اتجاه تونس .[1]

[1] Ire mam . cnrs . fr/ spip. Php ? article- 433/ / 18 avril 2018 / 15:30.

**ج . أهم الشخصيات العلمية التي استفاد منها أندريه ريمون :**

**1 . ألبرت حوراني** (Alpert Horurani): ولد في 31 مارس 1915م ، بمدينة مانشستر الإنجليزية ، وهو ابن فضلو عيسى الحوراني ، اعتنق المذهب الكاثوليكي . حاول أبوه إدراج إبنه في مدرسة عامة ، لكنها لم تسمح بذلك لأنها لاتقبل الأجانب ، ففتح فضلو مدرسة صغيرة ، لتدريس ألبرت وأطفال آخرون، من عوائل مهاجرين .درس فيها الى سن الرابع عشر ، ثم إنتقل الى إكسفورد ، ودرس بجامعتها في كلية مريم المجدلية ، درس في الجامعة الفلسفة والإقتصاد ، وهو مؤرخ إنجليزي من أصل لبناني متخصص في تاريخ العرب والشرق الأوسط توفي في 17 يناير 1993م بإكسفورد ، ومن أهم أعماله نذكر :

. تاريخ الشعوب العربية : وهو أشهر أعمال حوراني ، صدر عام 1991م وترجمه كريم عسقول.

. الفكر العربي في عصر النهضة 1798. 1939م وترجمه كذلك كريم عسقول[1].

**2 . شارل أندري جوليان** (Charles André julien): ولد بمدينة كان الفرنسية ، في 2 سبتمبر 1891م .هو مؤرخ وصحافي فرنسي ، مختص في شؤون المغرب العربي ، وقد درس في معهد الدراسات السياسية بباريس ، وفي المدرسة القومية للإدارة في سربون . إنتقل وهو في الخامس عشر من عمره ليعيش في الجزائر، وبعد حصوله على شهادة البكالوريا عمل كاتبا لمحافظة وهران ، وانخرط في العمل السياسي باكرا كان مجال عمله شمال إفريقيا ، والإمبراطورية الاستعمارية توفي عام 1991م ،ومن أهم أعماله نذكر:

-تاريخ إفريقيا الشمالية: وهوأول كتاب له ظهر عام1931م.

-كتاب توني أصبحت مستقلة 1951. 1957م.

-تاريخ إفريقيا البيضاء،باريس1960م.

-تاريخ الجزائر المعاصرة، احتلال1827. 1871م، صدر عام1964م.[2]

---

1 - 1Leila fawaz , **alberthourani biography**. tufts university،April- 2000.

2-عبد الرحمان بدوي، **موسوعة المستشرقين**، دار العلم للملايين، ط3، بيروت، يوليو 1993م ص 510 .

**3 . هنري لاِووست**(Henri la oust): ولد في 1905م ، مستشرق فرنسي من أثاره البحث في أراءابن تيمية الاجتماعية والسياسية ، توفي سنة 1983م من مؤلفاته : الانشقاقات في الإسلام ، السياسة عند الغزالي .

**4 . غاستون فييت(**gastonwiet **) :** ولد في 1887م ، مستشرق فرنسي مدير لدار الأثار العربية بالقاهرة سنة 1924م ، انتخب عضو في المجمع اللغوي في القاهرة سنة 1930م ، أستاذ شرقي في كوليج في باريستو في 1971م . له كتب كثيرة عن العصر المملوكي والتاريخ الإسلامي وعن مصر والقاهرة مثل كتاب القاهرة مدينة الفن والتجارة ، وعن التحف الموجودة في المتحف الإسلامي بالقاهرة ألف مع زميله كتاب ضخم (مساجد القاهرة) ، وله كتاب إعانة الأمة تكشف الغمة ، ومن مؤلفاته بالفرنسية نذكر:

les musques du Caire. .

introduction a la litteratereanahe .

histoire de la nation égyptienne grandeur de litsam[1].

**6 . رجي بلاشير** (Régis Blachère ) :ولد في 26 فيفري 1900م ، مستشرق فرنسي عرف بإطلاعه العميق على اللغة العربية والآداب، عضو في أكاديمية النقوش والرسائل الجميلة ، موظف في جامعة باريس توفي في 18 أكتوبر 1973م ، من كتبه : ترجمة فرنسية لكتاب طبقات الأمم ، ترجمة القران إلى اللغة الفرنسية ، له كتاب تاريخ الأدب العربي .[2]

**7ـ كلورد**(Cloud kahn ): ولد في 26 فيفري ، مستشرق فرنسي ماركسي فرنسي الجنسية ، متخصص في التاريخ الإسلامي العصور الوسطى وخاصة في البحث عن المصادر الإسلامية في فترة الحروب الصليبية ، درس في المدرسة العليا للأساتذة ، ثم تردد على معهد اللغات والحضارات الشرقية بباريس ليحصل على

1. عبد الرحمان بدوي ، مرجع سابق ، ص ص 433،434 .

2- نجيب العقيقي " **المستشرقون** " دار المعارف بمصر ، ج1 ، ط 3 ، ص ص 318 ، 319 .

درجة الدكتوراه سنة 1940م ، عمل مدرسا بجامعة ستراسبورغ 1940.1945م ، ثم في جامعة السربون دعا للتدريس في جامعة ميتشجان عام 1967م ، كان متزوجا ولديه ستة أبناء من بينهم المؤرخ مشيل كاهن ، لقب بعميد التاريخ الإسلامي الاجتماعي من أعماله :

في عام 1954م نشر مدخل للحروب السياسية الأولى وهي مجلة إكسفورد ، من أثاره كذلك إعادة كتابة المدخل إلى التاريخ الشرقي الإسلامي لسوفاجيه من أشهر مؤلفاته ، الكتاب المرجعي ولفهرسي مقدمة التاريخ للعالم الإسلامي للقرون الوسطى بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر، توفي في 18 نوفمبر 1991م.[1]

**8 . هاملتون جب**(Hamilton Job ): هو مستشرق بريطاني ، ولد بمدينة الإسكندرية من أهم مؤلفاته : كتاب إلى ابن يسير الإسلام (لندن) 1932م واتجاهات حديثة في الإسلام شيكاغو سنة 1940م ، والمجتمع الإسلامي والغرب لعبد الرحيم مصطفى ، كما ترجم إلى الإنجليزية مختارات من رحلة ابن بطوطة[2].

**د . المؤسسات الأكاديمية و العلمية التي استفاد منها أندريه ريمون :**

تلقى أندريه ريمون مساعدة قيمة من المركز القومي للدراسات العلمية) الذي التحقبه في عام 1953م ، كما سمح له في وقت لاحق من عام 1963م ، ثم في عامي 1964. 1965م بتمويل إقامته بالقاهرة التي كان لها أثر حاسم في تقدم دراسته وفي معهد الدراسات العليا بتونس ، كما أظهر له السيد مارتي لو خالص وده والسيد الذي كان عميد كلية الإدارة ببارد و ساعده على متابعة أبحاثه ، كما أفادته نصائح سينجو ليه الذي كان يعمل أيضا بهذه الكلية .[3]

كذلك قدم له مدير المعهد الفرنسي للأثار الشرقية ( سانت فارجارنون ثم دوماس ) يد العون في متابعتهما لمشروع أندري ريموند ، الأرشيف الحربي بفانسن وأرشيف غرفة التجارة بمرسيليا ، والأرشيف

1 نجيب العقيقي ، مرجع سابق، ص ص 324 ، 325 .

2- نفسه، ص525.

3- أندريه ريموند ،**الحرفيون والتجار في القاهرة في القرن 18 م** ، المجلس الاعلى للثقافة ، ط 1 ،سنة 2005 ، ص8.

الإقليمي بحيروند ، ودار المحفوظات البريطانية ، وأرشيف القلعة بالقاهرة ،وأرشيف محكمة الأحوال الشخصية ( المحاكم الشرعية ).

إضافة إلى الأشخاص الذين قدموا له يد العون وذكرهم في كتبه الحرفيون والتجار ، مستشار الثقافة بالقاهرة وأحمد موسى نائب رئيس مجلس الدولة المصري و فؤاد سيد مدير قسم المخطوطات بدار الكتب ومجدى وهيه المدرس بجامعة القاهرة ، وزهير الشايب المسؤول عن الأرشيف القديم بقلعة القاهرة وعبد النور السكرتير العام بالمعهد الفرنسي للأثار ببيروت، والسيد بكاش الذي تولى تحقيق الرسوم البيانية والخرائط والسيد ملكي والسيد الشمالي والعاملين بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت .[1]

**هـ تكريمات أندريه ريمون :**

**. مصر** : قام المجلس الأعلى بالتعاون مع الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ندوة المجتمع المصري في العصرين المملوكي والعثماني تكريما للعالم والمستشرق ، المؤرخ الكبير أندريه ريمون ، وذلك يوم 2 -4أفريل بمقر المجلس الأعلى للثقافة ، حيث بدأ التكريم بكلمات ترحيب لكل من فاروق حسين وزير الثقافة و جابر عصفور الأمين العام بالمجلس الأعلى للثقافة ، الدكتور رؤوف عباس رئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، والدكتور عبادة كحيلة مقرر الندوة ، ثم تأتي كلمة المستشرق أندري ريموند للحضور ، تتخلل الندوة ثماني جلسات على مدار ثلاثة أيام تبدأ بمحاضرات لكل من الدكتور أيمن فؤاد " أندري ريمون عاشق القاهرة " ، الدكتور صادق محمد نعيمي " الدولة العثمانية في كتاب فولتير" ، الدكتورة مديحة دوس " الأوامر والإعلانات ثنائية اللغة في زمن الحملة الفرنسية " وتتوالى الجلسات والبحوث ومنها على سبيل الحصر . طوائف الحرف ودورها الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع المصري في العصر العثماني ، وأيضا الأسماء المشاركة في هذه الندوة ، الدكتورة نجوى كبيرة ، و الدكتور السيد علي ، والدكتور عبد المنعم الجيعي وغيرهم.[2]

1 . اندريه ريمون، **الحرفيون والتجار في القاهرة** ، مرجع سابق ، ص 6 . (انظر الملحق رقم 2 ص 63) .

2 ـ نفسه ص 7،8 .

**و-أهم أعمال المؤرخ أندريه ريمون:**

**1 ـالكتب:**

كتاب الحرفيون والتجار في القاهرة في القرن الثامن عشر ، تأليف أندريه ريمون ، ترجمة ناصر أحمد إبراهيم باتسى جمال الدين عباس، ومراجعة وإشراف رؤوف عباس ، دار النشر المجلس الأعلى للثقافة سنة 2005م ، الطبعة الأولى ، عدد صفحاته 513 صفحة .

ومن أهم محتويات الكتاب نذكر: المقدمة التاريخية، فتح مصر وتنظيمها على يد العثمانيين( العملاء،الأسعار،الأزمات،التجارة)، يعتبر هذا الكتاب بمثابة " العمدة "والمرجع في تاريخ مصر الاقتصادي و الاجتماعي في القرن الثامن عشر ،كما احتل واسطة العقد في الدراسات الأكاديمية المعتبرة عن العصر العثماني عامة ومصر خاصة . وكتب هذا الكتاب بالفرنسية ثم ترجم الى العربية ، والكتاب في الأصل رسالة دكتورا الدولة التي حصل بها أندريه ريمون على الدكتورا من جامعة السربون .[1]

.كتاب المصريون والفرنسيون في القاهرة ( 1801/1798م) ترجمة بشير السباعي ، نشر سنة 2001م ،عدد صفحاته 252 صفحة ، يبين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الكتاب من خمسة فصول ، من أهم محتويات الكتاب ، أحوال مصر والعلاقات المتوترة بين المصريين والفرنسيين إبان الإحتلال الفرنسي في هذا الكتاب يعبر عن المقاومة ضد المستعمر كما أن أندري كان متحيز وأظهر الجانب الإيجابي لمصر وهنا خص جزء من التونسيين وكذلك الأخطاء الفرنسية والإحتلال الفرنسي وتأثيره على النظم الاقتصادية .[2]

**2 . المقالات:**

1- للمزيد أنظر، كتاب أندريه ريمون ، **الحرفيون والتجار في القرن 18م** ، المرجع السابق.

2-للمزيد أكثر أنظر ،أندريه ريمون ،**المصريون الفرنسيون في(1798م-1801م)**،تر،بشير السباعي.

أول مقالات ريمون ناقشت حالات محددة ،لهذه الآلية هي سقاءة القاهرة Has parteusdeaudu( cairo)حوالتي ترجمها فؤاد الشايب حيث أوضح كيف أن تنظيما جاد لنقل وتوزيع مياه النيل ، سمح بحل مشاكل تزويد السكان بالمياه .أعطى في مقال آخر قدمه إلى الندوة الدولية الألفية القاهرة عنوانه "العمران المدني ومشاكل العمران في القاهرة في القرنيين 17م/18م "، بالإضافة إلى مقالات أخرى ، ساهم بها ريموند في دراسة تاريخ القاهرة و على الأخص في العصرين المملوكي والعثماني مثل :الحمامات العامة في القاهرة في نهاية القرن 18م،ومساحة القاهرة وسكانها في مطلع القرن 15م ومقالة عن "ربع " أحد أنماط السكن الجماعي في القاهرة خلال العصر العثماني .

**2 . دراسة الكتاب :**

**– الجانب الشكلي للكتاب :**

أ.العنوان : المدن العربية الكبرى في العصر العثماني ( انظر الملحق رقم 03 ص 63) .

وهوترجمة لكتاب : Grandes Villes Arabes à L'époque Ottomane

ب . المؤلف : أندري ريمون . Andrè Raymond

ج . ترجمة: لطيف فرج.( انظر الملحق رقم 4 ص 64 )

د . الطبعة:الأولى.

هـ . دار النشر: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة باريس.

و . سنةالنشر:1991 م.

ز. عدد الصفحات:292 صفحة .

ر. حجم الكتاب: حجم متوسط.

**– محتوى الكتاب:**

يحتوي الكتاب على ستة فصول، وكل فصل يتضمن عناوين متفرعة، حيث نجد المؤلف قد استهل كتابه بمقدمة للطبعة العربية، ثم نجد كلمة للمترجم بعدها مقدمة، ثم ندخل مباشرة في محتويات الكتاب.

الفصل الأول ، جاء بعنوان المدن العربية في عهد الإمبراطورية العثمانية ، وهذا الفصل يتضمن العناوين التالية : الغزو العثماني وتنظيم الإمبراطورية ، الغزو العثماني للمدن العربية ، وكذلك تنظيم الولايات العربية بعد عملية الغزو ، ثم يأتي تطور الولايات العربية بصفة خاصة الأوضاع المحلية ، بعدها نجد المعطيات الأساسية لنمو المدن العربية الكبيرة قبل العثمانيين ، وفي نهاية الفصل تحدث المؤلف عن إعادة توطيد الأمن في الولايات العربية ونموها الاقتصادي ، وعن دور الحج في تنمية المدن الكبيرة الموجودة على طريقه ، وتنوع السكان في ازدهار الولايات العربية .

أما فيما يخص الفصل الثاني الذي جاء بعنوان سكان المدن ومميزاتهم والسمات التي ظهرت في المجتمعات الحضرية السابقة ، إضافة إلى الطبقة الحاكمة والعسكريون الطبقة المسؤولة عن توفير الأمن والمحافظة على النظام في الولايات ، كما تطرق أندريه ريمون إلى المماليك المرتدون وحكمهم لمصر وسوريا وفلسطين .

أما العلماء و الأشراف فقد تناولهم من منظور الوظائف الدينية والثقافية فهم عادة من السكان الرعايا ، وفيما يخص الأوصاف التي كانوا يتميزون بها أيضا نجدها في هذا الفصل ودور العلماء في المجتمع العربي ، والأشراف الذي هم من سلالة النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا ينتظمون تحت رئيسهم نقيب الأشراف .

طبقة أخرى ذكرها الكاتب هي طبقة التجار والحرفيون وهم الرعايا ، ونجد من هذه الطبقة البرجوازية الكبيرة ، ونجد كذلك في محتوى الكتاب الصناع ، الحرفيون والتجار بداية بأعضاء الطوائف المهنية والطبقة الكادحة في المجتمع عامة الناس أي سكان المدن ، بالإضافة إلى العلاقة الموجودة بين الفئة الحاكمة والرعايا . ويتحدث الكاتب عن الجاليات غيرالمسلمة الموجودة في المجتمعات العربية ، ويصفها المؤلف إلى أقليات مسلمة أجنبية والمسيحيون واليهود(أهل الكتاب)، وورد ذكر الأوربيون في ثنايا الكتاب كونهم من سكان المدن العربية.

أما فيما يخص الفصل الثالث فقد عنونه أندريه ريمون بوظائف المدن وضمن هذا الفصل أدرج المؤلف المشرفون على الشؤون الحضرية وهي من مميزات المدن العربية ، أي قلة عدد الموظفين الذين يشرفون على الشؤون الحضرية للمدن ، أما السلطات السياسية القومية فهي تتدخل لمعالجةالمسائل المتعلقة لتسيير شؤون المدينة . كما لعب القضاة دورا أساسيا في شؤون الرعايا ، والحكومة المركزية التي تتدخل في جزئيات الحياة الحضرية للولايات العربية . ورد في الكتاب أيضا المؤسسات الشعبية والتي لعبت الطوائف دورا فعالا في المدن ، ومن هذه الطوائف ذكر المؤلف الطوائف المهنية وتضم هذه الطوائف جميع السكان أهالي البلاد ماعدا العلماء .

ونجد كذلك الجاليات العرقية والدينية حيث كانت تنتظم في كيانات شبه إدارية يرأسها المشايخ ، إضافة إلى الأحياء ، وهي تقسيم المدن إلى أحياء مغلقة . وتطرق المؤلف إلى أمن المدن والمؤسسات الأمنية ومحافظة السلطات العثمانية على الأمن في عواصم الولايات ، أعمال العنف ومشكلة الأمن المتناقض في المدن العربية . كما تطرق المؤلف إلى الأمن اليومي " العادي " فرغم العنف الذي شهدته المدن العربية إلا أن الأمن اليومي كانت تتمتع به كمدينة الجزائر ، أما الخدمات العامة للمدن وسكانها ، وإشباع احتياجات السكان المادية كذلك من المشكلات التي طرحها الكتاب نظافة المدن أوالمدينة وشوارعها من أولويات الكناسون المحترفون،الترابون.فيما يخص، إنارة الشوارع ومشكلة تأمين الإضاءة للمدن ليلا ،والحرائق التي كانت قليلة في المدن العربية بالإضافة إلى وسائل النقل التي كان يستخدمها سكان المدن والتي كانت عبارة عن الدواب والماء الذي كان توصيله مشكلة صعبة تؤرق سكان المدن بسبب المناخ وقلة الأمطار .

الفصل الرابع جاء بعنوان التنظيم المكاني، استهله بمبادئ التنظيم المكاني والذي تطرق فيه إلى هيمنة الوظائف الاقتصادية ودورها في نشأة المدن.أيضا تقسيم المدينة إلى قطاعين مختلفين تمام الاختلاف والاختلاف القائم بين المناطق المركزية بسبب المناطق المخصصة للسكن ، أما فيما يخص الهيكل الحضري للمدن ، ففيها التمركز الحضري للمدن العربية ، فيها أحياء الأثرياء والأحياء الشعبية وأحياء محيط المدينة الخارجي. أما الضواحي فهي خارج حدود أسوار المدينة والتوسع السكاني ، ونجد كذلك المخالفات في نظام الهيكل المكاني ، والهيكل المكاني لكل من الجزائر وتونس والقاهرة ، دمشق ، حلب ، المدن العراقية

، وفيما يخص تخطيط المدن بين الفوضى والتنظيم ، وفيها فوضى تخطيط المدن وذكر المؤلف أمثلة عن التخطيط الحضري على نطاق محدود في المدن وفيها التخطيط الحضري على نطاق واسع ، نجد فيها الأوقاف واهتمام المؤسسة الإسلامية بالتوسع العمراني.

الفصل الخامس يتحدث عن الأنشطة الاقتصادية وفيها التقاط المركزية ومواقع الأنشطة أيضا ، يتطرق الكاتب إلى مقر الأنشطة الاقتصادية (الحوانيت ، الأسواق ، القيساريات ) ثم يذهب إلى الأنشطة الحرفية في المدن العربية الكبيرة ، وموضع الصناعات الحرفية من الأنشطة الحضرية .

وأخيرا الفصل السادس ، عنوانه المناطق السكنية وأنماط المساكن،وجاءفيه تمهيد للفصل أي حول الموضوع وكذلك جغرافية المناطق السكنية وأسس تحديد المواقع في الولايات العربية ويعود الأساس إلى الواقع الاقتصادي ،كذلك من بين مانجده ضمن محتويات الكتاب ، جغرافية المناطق السكنية في مدينة الجزائر، وفي مدينة تونس وفي القاهرة وفي حلب .

ونجد الأحياء السكنية وهي إحدى مميزات المدينة العربية ، وضمن الأحياء في المدن العربية هناك أحياء الأقليات اليهودية ، والمسيحية في المدن العربية وكذلك سكان الأحياء ، ومعيشة الأحياء ، وأنماط المساكن . وذكر لنا المؤلف أندريه ريمون الدار التقليدية ذات الفناء في وسطها ، و البيوت التي بلا فناء وهي نموذج المساكن الخاصة ومسكن الطبقة المتوسطة والمسكن الجماعي والمسكن الشعبي .

وأخيرا الخاتمة ، التي لخص فيها أهم ماجاء به كتابه والخرائط التي وظفها في كتابه أي الملاحق ومراجع وهوامش الكتاب بالنسبة للفصول الستة ، فهرسة الأشكال والخرائط وأخيرا محتويات الكتاب .

## المبحث الثاني: أهم الموضوعات التي عالجها الكتاب:

1. أوضاع المدن العربية قبيل وأثناء التواجد العثمانيين :

2. التنظيمات الإدارية للمدن العربية خلال العهد العثماني :

3 . الجانب الإقتصادي للمدن العربية خلال العهد العثماني :

4 . الواقع الاجتماعي للمدن العربية خلال العهد العثماني :

5 . العمران في المدن العربية خلال العهد العثماني :

**المبح ثالثاني: أهم المواضيع التي عالجها الكتاب :**

**1 . أوضاع المدن العربية قبيل و أثناء التواجد العثماني بها .**

**أ . قبيل العثمانيين :**

كانت المدن العربية تعيش إنحدارا قبل التواجد العثماني بها ، فالمدن العراقية لم تسترجع قواها بعد الغزو المغولي، ويستشهد ريمون بقول المؤرخ المصري " المقريزي " في المدن الخامس عشر " بغداد قد تهدمت ، ولم يعد هناك جامع ولا مؤمنون ولا سوق ، وغالبية قنواتها قد جفت ، ومن الصعب تسميتها مدينة " . أما في مصر والسورية كانت تحت الحكم المملوكي ، وأثناء القرن الأخير الإمبراطورية المملوكية كانت تعيش فترة إنتكاس حضري ، وكذلك الطاعون الذي إجتاحها عام 1347م .وبالنسبة لدمشق فقد ذكر سوفاجيه أن قوات تيمور نهبت المدينة سنة 1400م ، ثم شهدتأزمة إقتصاديةفي عهد الإمبراطورية المملوكية وفي شمال إفريقيا ، الصراع الذي كان قائما بين دول المغرب الوسطى والشرقية ، أدى إلى تشجيع الإستعمار الإسباني والبرتغالي ، وهو مادفع بالجزائر إلى طلب الحماية من الأتراك .

أما تونس في القرن الأخير للحفصيين شهد صراع بين الأتراك للحصول عليها حيث إحتلها الإسبان عام 1535م ، ودام الإحتلال مدة أربعين يوما .[1]

**ب . أثناء التواجد العثماني بها :**

ذكر لنا المؤلف أندريه ريمون أن الغزو العثماني شمل مجمل العالم العربي تقريبا.فالحملات التي كانت أساس الفتح ، لدينا معركة جالديران[2](1514م )،ومعركة الأبليستين (1515م )ويذكر في هذا الصدد هزيمة قوات

[1]- اندريه ريمون " **المدن العربية في العهد العثماني** " تر، لطيف فرج ،دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، ط1 ، القاهرة باريس ، 1991مص 34 ، 35.و محمد عبد الله عودة ، ابراهيم ياسين الخطيب " تاريخ العرب الحديث " د ط مطبعة مصر ، سنة 2000م

2 . معركة جالديران: هي معركة وقعت في 23 أغسطس 1514 م في جالديران يبين قوة الدولة العثمانية بقيادة سليم الاول ضدقوات الدولة الصفوية بقيادة إسماعيل الاول انتهت بانتصار قوات العثمانية واحتلالها مدينة تايزير عاصمة الدولة الصفوية، وللمزيد من المعلومات أكثر انظر:احمد عبد الرحيم مصطفى "**أصول التاريخ العثماني**" دار الشروق القاهرة ، ط3، 2003، ص79 ، إضافة الى محمد فريد لمحامي "**تاريخ الدول العلية العثمانية**" دار الجبل ، ط1 ، سنة 1977 ص 74 .

الشاه إسماعيل الصفوي[1]من طرف السلطان [2]السليم ومن إستلاء هذا الأخير على الموصل والحملة السريعة ضد مماليك مصر (1514–1517)والتي بموجبها ،،حكم سليم سوريا وفلسطين، و احتل حلب في أغسطس 1516مفي معركة مرج دابق[3]، ودمشق في أكتوبر ،وفي 22 يناير 1517م تم سحق قوات طومان على أبواب القاهرة . في معركة الريدانية.[4]

ذكر السلطان سليم على منابر الجمعة في جوامع مصر و القاهرة، مدعما كلامهما بالقول التالي: "وانصر الله السلطان بن السلطان، مالك البرين والبحرين كاسر الجيشين ،وسلطان العراقين، وخادم الحرمين ،الملك المظفر سليم شاه يامالك الدنيا والآخرة ، يارب العالمين" .

وفي سنة 1520م تحتل سواكت على البحر الأحمر وفي مكة يضع بركات الثاني نفسه تحت سيادة العثمانيين وأزمير باشا باحتلال صفاء 1547م .

---

1 –إسماعيل الصفوي : هو أبو المظفر الشاه إسماعيل الهادي الوالي ، ولد في جويلية 1487م ، مؤسس الدولة الصفوية في إيران حكم إيران من 1524/1501م ، وهو الحاكم الذي أسس مذهيب ، الصفوية في إيران وعمل جاهدا من أجل توسيعه عبر مناطق مختلفة من العالم ،توفي في 1524م، للمزيد أكثر إطلع على كتاب،زين الدين شمس الدين نجم "**تاريخ الدولة العثمانية** "دار المسير للنشر والتوزيع،ط1 ،عمان ، 2010م،ص ص 139–141.

2 . السلطان سليم الاول: ابن يزيد الثاني محمد بن الفاتح ولد 10 اكتوبر 1470م ، و توفي 22–09–1520 ، هو تاسع سلاطين الدولة العثمانية وخليفة المسلمين أول ول من حمل لقب أمير المؤمنين من آل عثمان، حكم الدولة العثمانية 1512م–1520م وللمزيد من المعلومات اكثر اطلع على ، إبراهيم محمد حسنين "**تاريخ الدولة العثمانية**" دار التعليم الجامعي ، الإسكندرية ص ص235–236.

3 . معركة مرج دابق: هي معركة قامت في 8اغسطس1516 بين العثمانيين والمماليك قرب حلب في سوريا بقيادة السلطان سليم الاول ، وقيادة قونصوة الغوري انتهت بانتصار الدولة العثمانية ودخول مصر تحت الحكم العثماني وللاطلاع أكثر أنظر احمد فؤاد متولي "**الفتح العثمانيللشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر العربية والتركية المعاصرة له**" دار النشر مصر القاهرة ط 1، سنة ( 1414 هـ / 1959م ) ، ص165–ص169.

4. معركة الريدانية: وقعت في 1517م بين طومان باي وسلطان سليم لأول ،انتهت بهزيمة طومان باي وإعدامه على باب زويلة ،وإنهاء حكم المماليك ،وبداية السيطرة العثمانية على مصر وللمزيد أكثر أنظر كتاب، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المصري "**بدائع الزهور في وقائع الدهور** "مطابع الشعب للنشر والتوزيع ،قاهرة ، 1970.ص200 .

أما في الجزء الغربي من الأخوانبربروس[1] ذو اللحية الحمراء ويصفهم في كتابه القراصنة الأتراك بعد طلب المساعدة من المسلمين من المسلمين الجزائريين ضد الخطر الإسباني ، واحتلال جيجلي في 1514 م ، ثم الجزائر عام 1516م ، أما خير الدين من الإنكشارية1519م ، ومنذ هذا التاريخ أصبحت الجزائر تابعة للباب العالي [2]

كذلك تونس احتلها خير الدين عام 1534 بعد ضعف الحفصيين ثم يستولي عليها شارل الخامس في العام التالي ، وفي عام 1574م إستولى سنان باشا وأولجي على المرسى وتونس بالقوة لتصبح تونس إحدى الولايات العثمانية ، أما طرابلس فقد إنتزعها السلطان سليمان من فرسان مالطة سنة 1551م .

أما في الجزء الغربي من الأخوين بربروس ، ويصفهم في كتابه بالقراصنة الأتراك ،بعد طلب المساعدة من المسلمين الجزائريين ضدالخطر الإسباني، واحتل جيجل في 1514م ثم الجزائر 1516م، أما خير الدين ، فقد عينه سليم حاكما أو باشا على الجزائر (بيكلرباي) ، ودعمه بألفين من الإنكشارية (1519) ومنذ هذا التاريخ أصبحت الجزائر تابعة للباب العالي ، كذلك تونس احتلها خير الدين عام 1534م بعد ضعف الحفصيين ثم يستولي عليها شارل الخامس في العام التالي ، وفي عام 1574م إستولى سنان باشا الجليلي على المرسى ، وتونس بالقوة لتصبح تونس إحدى الولايات العثمانية ، أما طرابلس فقد انتزعها السلطان سليمان من فرسان مالطة سنة 1551م .

1 -الإخوة بربروس :(عروج –خير الدين) يعود أصل الأخوين إلى الأتراك المسلمين والدهما يعقوب بن يوسف ،استقروا في جزيرة مدللي إحدى جزر الأرخبيل ،وقد اتجه الإخوان إلى الجهاد البحري منذ الصغر،و يرجع تحالف الأخوين مع العثمانيين إلى سنة 920هـ بعد تحرير ميناء جيجل. للمزيد أكثر أنظر أنظر كتاب يلماز أوزتونا "**تاريخ الدولة العثمانية** "منشورات مؤسسة فيصل للتمويل بتركيا ،م ج 1،إسطنبول ، 1977 ص 240 .

2. أندريه ريمون"**المدن العربية في العهد العثماني** " ص،ص21 ، 22 . وللتوسع أكثر اطلع على فاضل البيات"**دراسات فيتاريخ العرب العهد العثماني رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية**" دار أويا للطباعة والنشر، ط1 ،. وشوقي عطا الله الجمل "**المغرب العربيالكبير في العصر الحديث**" مكتبة الأجلو المصرية سنة 1977.

و يذكر أن المغرب هي البلد الوحيد في الشمال الإفريقي التي لم يدخل تحت الحكم العثماني و يذكر نجاح الإمبراطورية الشريفة في إبجاد العثمانيين عن المغرب الأقصى و تحديد الحدود النهائية و العثمانية بين وجدى و تلمسان .[1]

و مع نهاية القرن السادس عشر سيطرت الدولة العثمانية على المنطقة العربية حتى سنة 1820م فيبقى العراق محل نزاع بين العثمانيين والصفويين الارانيين،حتى نهاية القرن الثامن عشر, أما الموصل فلم تخرج في أي وقت عن نطاق الإمبراطورية تم غزو بغداد 1534 بحملة قادها سليمان ،أما البصرة فقد ضعفت السلطة العثمانية بها مع بداية القرن السابع عشر ، و هو ما شجع الحاكم الصفوي الكبير عباس علي بغداد و تم الاستلاء عليها من طرف العثمانيين ، و لم يعد العثمانيون إلى الاستلاء على بغداد إلا بعد وفاته (1629م) ، وذلك عقب حملة عسكرية قادها السلطان مراد الرابع 1638م و يذكر المؤلف الفترة التي كانت فيها المعارك مستمرة بين الطرفين خلال 1723 الى 1749م و في عام 1723 كان نادر شاه قاب قوسين من الاستلاء على بغداد و عام 1724ضرب حصارا حول الموصل ووجد مقاومة من طرف السكان و الحاكم حسين باشاالجليلي و مع وفاة نادر شاه عام 1747م هدنة طويلة للعثمانيين ذكر محاصرة البصرة بعد دفاع طويل سقطت المدينة في عام 1776م و لم يسترجعهاالعثمانييناإلا في 1780م و هنا ابتعد الخطر الفارسي على العراق نهائيا بعد معارك امتدت ثلاثة قرون أمااليمن التي أصبحت ولاية عثمانية في 1547م فكان تاريخه متقلب و مع ذلك لم يؤثر على أمن الإمبراطورية و أدى محاولة الزيدانيين ضد العثمانيين في عام 1566م الذي دفع بسنان باشا حاكم مصر إلى السيطرة العثمانية إلى اليمن و مع ذلك وبعد وقوع العديد من أحداث التمرد اضطر الحاكم العثماني حيدر أخيرا إلى الجلاء عن اليمن و تركه للإمام المؤيد 1629م و ظل اليمن تحت الأئمة الزيدنيين حتى عودة الفتح العثماني في عام 1872م و لم يخضع اليمن للعثمانيين و لم يخضع اليمن للعثمانيين إلا لثلاثة أرباع قرن و أخيرا يقدم ملخصا حول

1. أندريه ريمون" **المدن العربية**" مصدر سابق، ص 22 وللتوسع أكثر، اطلع على فاضل بيات" **الدولة العثمانية في المجال العربي دراسةتاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر مطلع العهد العثماني أواسط القرن 19ه** "نيسان، ط1 بيروت، 2007.

الإمبراطورية العثمانية بداية من 1574م و التي تضم مجموعة من الأراضي العربية باستثناء المغرب و اليمن نهاية التواجد العثماني بالمنطقة و الاحتلال الأجنبي لأغلبية المدن العربية .[1]

## 2. التنظيمات الإدارية للمدن العربية خلال العهد العثماني :

### أ–تنظيم الولايات العربية:

بين لنا المؤلف أندريه ريمون في كتابه المدن العربية الكبرى في العصر العثماني أن النظام الإداري في الدولة العثمانية كان نظاما نسبيا و يقول في هذا العدد أن الإمبراطورية مقسمة إلى (ولايات) الولايات مقسمة إلى أجزاء أصغر تسمى سناجق و لكن التنظيم كان متغيرا بعد وصول (الإمبراطورية) أوج قواها في نهاية القرن 16م وفي هذا الصدد قام الصدر الأعظم قوبوجي مراد باشا[2] بعمل إحصاء يصف حالة إمبراطورية القديمة إلى السلطان أحمد الأول جاء فيه عدد الولايات يبلغ 32 إيالة مقسمة إلى 279نسجق[3]و يقول أندريه ريمون في هذا الصدد مقارنة الوثائق المختلفة يجعلنا نصل إلى عدد 32إيالة من بينها 12 ولاية عربية هي الرقة وبغداد و البصرة و الموصل و حلب و الشام و طرابلس السورية و اليمن و مصر و طرابلس الغرب و تونس و الجزائر, ويؤكد المؤلف أندريه ريموند على أن التقسيمات هذه كانت معقدة جدا فهي متغيرة و غير ثابتة فمثلا عن ولاية دمشق كانت مقسمة إلى9سناجق في القرن19ولكنتشيرالقوائم المختلفة

---

1 – أندريه ريمون "**المدن العربية الكبرى في العهد العثماني**" المصدر السابق ، ص23 ،.وللتوسع أكثر راجع، إسماعيل أحمدياغي "**العالم العربي في التاريخ الحديث**" مكتبة العبيكان ج 2، ط1 ، الرياض سنة 1408 هـ / 1997 م .

2– باشا: معناها قدم الملك أو الشاه ثم صار معناها مستخدما واستملت بعد ذلك كلقب لحكام الولايات، وأخيرا أصبحت أعلى لقب تشريفي في الدولة ، وهو لقب عثماني أطلق على رتب متعددة عسكرية للمزيد أنظر د سهيل صابان "**المعجم الموسوعيللمصطلحات العثمانية التاريخية** " مراجعة عبد الرزاق محمد حسن بركات ،د ط، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 2000م ص136.

3–سنجق: ومعناها اللغوي العلم و اللواء الخاص بالدولة، ثم بها اللواء الذي يمنحه السلطان للوالي أو الأمير تعبيرا عن ثقته وبأنه أهل للحكم، ثم تطورت للدلالة فأصبحت تعني قصما إداريا من أقسام الدولة، وحلت محلها مؤخرا الكلمة العربية (لواء) للمعنى نفسه، أي 'قسم إداري) للمزيد إطلع على د سهيل صابان ، مرجع سابق ص114.

التي وضعت عام 1609 إلى 10 أو 12نسجق وفي عام 1609 أقمت ولاية في حيث ألغيت بعدها لتعود من جديد في عام 1660.[1]

و يذكر أن الباب العالي يمارس السيطرة على هذه الولايات وذلك من خلال إطار لنظام يكون أساسا من ثلاثة عناصر و هي الحاكم و (جند إضافيون) و القاضي و في هذا الصدد يقول : أنه تطرق إلى هذا النظام بإيجاز ثم انتقل أندريه ريموند إلى الحكم الولاية حيث يتولى حكم الولاية حاكم (والي) يقوم الباب العالي تبعته كان الحكم يسند إلى حكام من أعلى الرتب و هي رتبة وزير أو التي كما ذكرناها مصطلح (ببكربك) مع منحه لقب باشا أما حكام الولايات لأكثر أهمية فكانوا يرقون إلى منصب الصدر الأعظم ونجد ذلك حكام مصروفي حالات أقل في حكام سورية وللحصول على منصب حاكم كان على المترشحين تقديم الهدايا و الهبات المالية ذات أهمية و قياد دمشق تضائل استمرار الحكام في القرن 17م مدعما رأيه يقول يادير:"إن دمشق شهدت 45 حاكما خلال الفترة الممتدة من 1516 إلى 1600".

وكما كان يحدث انقلاب ضد الباشوات التي كانت تعينهم الحكومة المركزية في بعض الأحيان مصر لاغتيالهم من جانب السكان أو القوى المحلية وكان يساعد الحكم عدد من أصحاب المقامات الرفيعة يعينهم السلطان عادة و توزع فيما بينهم المهام الإدارية و يمكن أن نطلق على هؤلاء اسم مجلس القيادة و الذي كان يختلف شكليا وفقا لظروف كل ولاية فمثلا في القاهرة كان يضم إلى جانب الدفتر دار[2](أمين الخزانة) الذي يعني بالشؤون المالية .[3]

1 – أندريه ريمون"**المدن العربية في العهد العثماني** " مصدر سابق ص23. (انظر الملحق رقم 5 ص 65).
للمزيد من المعلومات راجع عبد الكريم غرايبية، تاريخ العرب الحديث الأهلية للشرف والتوزيع بيروت1984.

2–دفتردار:أي ممسك دفتر وهي كلمة تتكون من كلمتين (دفتر:دفتر/دار:قابض) بمعنى القابض على الدفتر وهو أكبر منصب للشؤون المالية في الدولة العثمانية، يقابله في الوقت الراهن ووزير المالية للمزيد أكثر أنظر سهيل صبان ، المرجع السابق ، ص114

3 أندري ريمون ، المصدر السابق ، ص ص 23 ، 24 .

سردار[1] يتولى قيادة الحملات خارج مصر أو داخلها و أمرالحج يتولى رئاسة قافلة الحجاج في العام إلى مكة و أمير الخزانة الذي يحرص الجزية السنوية المرسلة إلى استانبول و أخيرا قائم مقام يتولى شؤونالحكم أثناء فترات خلو السلطة في الولاية و الركيزة الثانية في الحكومة تتكون منالميلشيات(الأوجاق)، وبصفة خاصة إنكشارية التي كانت موزعة على 196 سرية (الأورطة) تتبع الآغا في استانبول و كان من المفروض تجنيد القوات الانكشارية وفقا لنظام (ديوشيرما)و يذكر أن الانكشارية كانت ذات فعالية رائعة قامت بتأمين التفوض للعثمانية خلال القرنيين 15 و 16م .

و أخيرا كانت إدارة الولاية ترتكز إلى حد كبير على القضاء الذي اهتم به السلاطين العثمانيين و نجد على رأس التسلسل القضائي شيخ الإسلام قضاة عسكر إحداهما للروميلي و الآخر للأناضول و يقوم القاضي عسكربتعيين قضاة الولايات حيث كان يقوم قاضي عسكر الأناضول بتعيين قضاة آسيا و مصر و قاضي عسكر الروملي بتعيين قضاة الغرب وكان هؤلاء القضاة بطبيعة الحال يتحدثون باللغة التركية من حيث أن قضاة الدوائر القضائية و نوابهم كانوا يعينون من بين العرب وفي عام 1798م في القاهرة لم يوجد سوى ستة قضاة أتراك أما باقي القضاة كانوا يعينون من بين العلماء المصريين و من بين مهام الموكلة للقضاة إصدار الأحكام إلى جانب مراقبة الإدارة و شؤون الأحوال الشخصية و شؤون حياة الاجتماعية و الاقتصادية فإنهم كانوا يمثلون جهازا أساسيا في الإدارة العثمانية .[2]

**ب : تطور الولايات العربية :**

وبعد أن تفرغ ريمون من النظام الإداري ، تطرق الى تطور الولايات العربية كما يذكر أنه من المستحيل تحديد تطور عام في الولايات العربية التابعة للإمبراطورية ، إننا نواجه ظروفا متباينة بسبب اختلاف خبرات الولايات التاريخية ، و بسبب مواقعها الجغرافية بالنسبة لمركز الإمبراطورية ،فيرى أن البعثات العميقة التي تركتها الفترة الحفصية (من القرن الثالث عشر إلى السادس عشر).

1. سردار: اللقب الذي أطلق على الصدر الأعظم إذا توجه للحرب دون مشاركة السلطان فيها، وكان يقال له السيد عسكر أيضا أي قائد الجيش كما أطلق عليه على الأغلب السردار الأكبر. للمزيد أنظر د سهيل صابان ص 133.

2 . أندريه ريمون ، مصدر سابق ، ص ص 24، 25 . وللمزيد أنظر يوسف تعيسي "**مجتمع مدينة دمشق ما بين 1772م-1840م** " دار فلاس ج 1، دمشق ، 1986 .

في تونس ، إن نظام المعسكرات "المتحركة" كوسيلة لحفظ النظام و لجباية الضرائب .لم يتوقف في ظل العثمانيين و نفس الشيء حدث في مصر[1] بالنسبة للتقاليد الموروثة عن العهد الملوكي ، و بالنسبة للجزائر و تونس فإن موقعها على مسافة بعيدة عن مراكز السلطة ، يفسر بلاشك تطورها تبين الولايتين تطورا لا يقاوم نحو استقلال يزداد اكتمالا ، و هذا عكس وضع حلب القريبة من الأستانة ، بالإضافة إلى حرمانها من قرنين و نصف من التقاليد المتعلقة بقيام دولة ، فبرغم من رفاهية حلب المادية لأنها خاضعة في النهاية للحكومة المركزية نسبيا . أن الضعف الذي حل في المؤسسة السلطانية ، و التخلي عن نظام الدفشرمة ،أدى ذلك إلى إضعاف سيطرة الحكومة المركزية على الولايات ، و بالتالي ظهور اتجاهات رافضة للسلطة المركزية . ولم تنظر السلطة العليا الإمبراطورية إلى مثل هذه التطورات على اعتبارها كارثة ،واستلمت لها في غالبية الأحوال كأمر حتمي طالما بقي هناك احتراما للالتزامات الدينية ، والشكليات الظاهرية بالخضوع للسلطات المركزية مثل : الالتزام بالمساهمة في أمن الإمبراطورية ، والمشاركة في حملاتها والمحافظة على الأمن كدفع الجزية السنوية إلى خزينة الإمبراطورية ، والتي هي من مظهر الاعتراف بسيادة الباب العالي (السلطة المركزية ) ، ولم تتخذ قرارا بالتدخل ضد المماليك[2] المصريين إلا حينما وصل عنادهم إلى حد الامتناع عن إرسال الجزية مثل :حالة الأمير علي بك، الذي توقف عن إرسال الجزية والذي قام بصك النقود ويذكر اسمه في صلاة الجمعة 1769م.

وفي تونس الحسينية ، حيث كان البابات يحكمون منذ 150 عاما حيث كان حكمه وراثيا ، داخل الأسر الحاكمة ، فإن الباي محمد أبلغ السلطان بتولية السلطة في البلاد وفي دمشق . حيث كانت أسرة

[1] . مصر : ولاية عثمانية منذ 1517م ، ومنطقة هامة من مناطق الدولة العثمانية ، لاعتبارات استراتيجية، كأشرافها على وجهات بحرية ، وموقعها كهمزة وصل بين القارات الافريقية ، للمزيد انظر محمد شفيق غربال " **الموسوعة العربية للمسيرة**"مجلد2 ، مكتبة العرب سنة 1963 المجلد 2 .ص 1423م .

[2] . المماليك : كانوا في الأصل أرقاء جلبهم الفاطميون إلى مصر في القرن العاشر هجري ، ثم السلاطين المتأخرين من الأيوبيين كي يدربوا على الجندية وخدمة السلطان ، أقام المماليك في مصر دولتين ، البرجية ، ودولة المماليك البحرية ، فقضى سليم الأول على دولتهم في مصر سنة 1517م ، ثم قضى عليهم نهائيا محمد علي باشا في موقعة القلعة سنة 1811م ، للمزيد أنظر محمد شفيق غربال ، مرجع سابق ، ص 1426.

العظم تشتغل منصب الباشوية طوال الأعوام ، من دائرة الأسرة الحاكمة فإن الباي محمد أبلغ السلطان بتوليه السلطة في البلاد .[1]

وفي دمشق ،كانت أسرة العظم تشتغل منصب الباشوية طوال الأعوام من (1725م إلى 1783م ) .فإن أعظم باشوات آل العظم ، وهو أسعد باشا ظل يحكم البلاد من (1743م إلى 1783م) ، وفي نهاية الأمر قررت الحكومة العثمانية في سنة 1757م عزله ، وفي خلال ثلاثة أيام غادر دمشق التي حكمها حوالي خمسة عشر عاما ، ويبدو أنه إذا كانت الروابط القائمة بين السلطان والولايات ، قد تراخت بوضوح فإنه يجب الحذر فهم مدى هذا التراخي . لأن سلطة الباب العالي كانت موجودة في الحسبان ، باعتبارها أمرا واقعا حتى في تلك الولايات الأكثر بعدا ، والأكثر استقلالية ظاهريا .[2]

## ج . الأوضاع المحلية في المدن العربية في القرن الثامن عشر :

ومن هنا انتقل لنا المؤلف ، إلى أوضاع الولايات العربية ، في القرن الثامن عشر ، عن تنوع كبير بين التبعية شبه الكاملة لسلطة الحكومة العثمانية ، وبين الحكم الذاتي الذي يقترب من الاستقلال . وفي حلب بقيت سلطة الباب العالي على حالها ، وهي قرب هذه الولاية من مركز السلطة ، وموقع المدينة الاستراتيجي حيث تشرف على مواصلات الإمبراطورية مع العراق وسورية وفلسطين وبلاد الحجاز ومصر ، وخلال هذه القرون الثلاثة ، شهدت حلب باشوات أثبتوا بصفة عامة إخلاصهم الشديد للسلاطين .

وفي دمشق[3] والموصل استمرت ، في الولايتين أسرحاكمة محلية ، تتصف بعدد من الصفات المشتركة متقاربة . حيث أصبح إسماعيل باشا العظم حاكما لدمشق في (1725م )، وإسماعيل باشا الجليلي حاكما للموصل في 1726م ، وقد استمر آل العظم من (1725م إلى 1783م) ، وأسرة الجليلي من

---

1 – أندريه ريمون" **المدن العربية**" مصدر سابق ، ص ص27-28 . للتوسع انظر الى: فاضل بيات "**دراسات في تاريخ العربفي العهد العثماني**" مرجع سابق ص 320. 331 ..

2. نفسه ص28. وللمزيد أنظر هند فتال/ رفيق شكري " **تاريخ المجتمع الحديث و المعاصر** " دار النشر جرس بريس ، بيروت 1988م،ص180 .

3– دمشق : عاصمة دولة سوريا إسمها بالمصري "داميسكو"، وتقع بجنوبها على نهري بردي .للمزيد أنظر محمد شفيق غربال ، مرجع سابق ، ص82 .

1762إلى 1834م ، وكانتا ملتحمتان بالدولة العثمانية ، واستخدمت الأسرتان مع السلطة التي حققت لها مساندة الشعب ، وشرعية لا جدال فيها وسياسة أسرية قوية.[1]

أما في بغداد[2] ، فإن النظام الذي ساد فيها في القرن الثامن عشر ، وتأسيس أسرة حاكمة زائفة من مماليك ثم شرائهم وتعليمهم وتدريسهم لتولي وظائف سياسية فإنه يذكرنا بنظام المماليك الذي جرى العمل به في مصر، ويعود الفضل في إدخال هذا النظام إلى حسن باشا ، حاكم بغداد خلال القرن (1704م/1723) . فقد قام بتجنيد مماليك من القوقاز ، بالحملة أصبحوا فيما يعد نوعا من الأسر الحاكمة التي استمرت ، حتى عام (1831م) . وقد قبلت الحكومة هذا الوضع ، حيث كان من الصعب تغييره ، وذلك طالما أن الأسرة الجليلين ، ومن معهم من المماليك ، يسهرون على أمنه الخارجي للأمر الذي يضمن أمن الإمبراطورية بأكملها ، في هذه المنطقة الحدودية .

وفي القاهرة نصب العثمانيون ، أحد الباشوات ممثلا للباب العالي ، وكان يحكم بمساعدة فرق الميلشيات ، وأقوى هذه الفرق كانت الانكشارية ، وترك العثمانيون للأرستقراطية المملوكية المحلية ، وقد نما في البلاد نظام ثلاثي ، يسعى أطرافه إلى السيطرة على السلطة وتضم الباشا المعني من قبل الباب العالي ، و الانكشاريين الذين يسيطرون على العاصمة والبكوات الذين يحكمون الأقاليم ، وفي هذا النظام الثلاثي ،كان الباشوات هم أول من استسلم . ففي عام 1586م قام الجنود بوقف الحاكم عند أعماله وبالتحفظ عليه ، وفي عام 1604م قتل الثوار إبراهيم باشا وتميز النصف الأول من القرن السابع عشر بهيمنة البكوات، فقد سيطررضوان بك وهو أمير من أصل جركسي على الحياة السياسية في مصر

[1] . اندريه ريمون " **المدن العربية** " مصدر سابق ، ص 28.للمزيد أنظر ، هند فتال ورفيق شكري ، مرجع سابق .

[2] . بغداد : مدينة أسسها الخليفة أبو جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين ، وشرع في تخطيطها سنة 145هـ ، وأتمن بناؤها سنة 149هـ ، وهي قائمة على ضفتي نهر الدجلة ، تبعد عن منصب نهر شط العرب المكون من نهري الدجلة والفرات في الخليج الفارسي بنحو خمسمائة ميل ، أنظر محمد فريد بك " **تاريخ الدولة العلية العثمانية**" دار النفائس ، ط1 ، لبنان 1401هـ / 1981م ، ص 114.

من عام 1631م وفاته في 1656م ، وأدى التنافس بين مجموعات البكوات على السلطة إلى تصارعها معا ، ولم يعد الباشا يلعب دورا أكثر من التحكيم .[1]

وفي حوالي 1770م ، أمن علي بك أحد الأمراء المسيطرين مركزا قويا لنفسه ، لدرجة أنه بدا قادرا على زعزعة السيطرة العثمانية كلية ، وعلى أن يقيم في مصر نظاما ملكيا مستقلا . وقد فشلت هذه المحاولة وخلال هذه الفترة من 1798م إلى 1917م ( تاريخ حملة بونابارت ) ، كان يحكم مصر نوع من الحكم الثنائي ( إبراهيم ومراد بك ، الذي يعترف بسيادة الباب العالي ، لكن دون منحه المنافع المادية بالنسبة للجزية التي كان عدم دفعها أحد أسباب حملة 1876م . فمنذ عام 1793م / 1798م لم ترسل بارة واحدة إلى إستانبول ، ومع ذلك فإن فشل علي بك في كبح همة أي محاولة جهرية لإنفصال ، كانت سياسة محمد بك أبو الذهب ، تختلف قليلا في إجمالها عن سياسة علي بك ، ومن المحتمل أنه كان يستهدف إقامة حكم ذاتي ، ولكن بلا شك في داخل الإمبراطورية ، وكان من الممكن أن يتحقق له ذلك بالمزج بين سلطة شيخ البلد ( شيخ الأمراء ، المماليك ) ، وسلطة الحاكم التي يبدو أن السلطان قد منحها له لولا وفاته الفجائية يوم 10 يونيو 1775م .[2]

وفي المغرب أقيمت نظم مختلفة ، في الظاهر لكنها متقاربة للغاية حيث أنشأت سلطة تشبه سلطة الحاكم ( دايات و بايات ) ، وكان بعد توليهم السلطة ، يتلقون تنصيب السلطان لهم في صورة منحهم رتبة الباشوية ، وهي ذات قيمة شرفية ، وفي نفس الوقت اعتراف بالسيادة السلطان .

حيث كان البايات المعنيون ، من قبل السلطان بحكم ولاية الجزائر ، خلال فترة . ثم انتقلت السلطة الأساسية إلى القراصنة ، ( طائفة الرؤساء ) إلى الرؤساء وإلى مليشيا (الأوجاق) الانكشارية.[3]

وفي تونس كان التطور نحو نظام مستقل ، وهي ظاهرة يجب ربطها بقدم التقاليد المتعلقة بإقامة دولة في هذه المنطقة ، وباستمرارية المؤسسات الموروثة عن العهد الحفصي ، ولا شك أن العادة القديمة الخاصة

[1] . أندريه ريمون ، مصدر سابق ،ص ص 29 ، 30.

[2] . نفسه ، ص 31 .

[3] . الإنكشارية : بمعنى القوات الجديدة ، مصدرها الدرويش حاج بكداش والي ، وهي فيالق عسكرية تكونت من أبناء رعايا الدولة الذين يتراوح أعمارهم مابين السادسة والخامسة عشر من مختلف الولايات العثمانية . وللمزيد أنظر ، د سهيل صابان ، مرجع سابق ، 41 .

بتنظيم "معسكرات " متحركة ، والتي كانت تجوب الأقاليم بصفة دورية بقصد إظهار سلطة الحكام وجباية الضرائب ، هي التي سمحت للبايات الذين يمثلون الباب العالي ، وعلى الدايات الذين كانوا منذ (1590م / 1591م) ، وكان من أبرز هؤلاء الدايات في بداية القرن السابع عشر عثمان داي ، ويوسف داي . وفي ظل هذه الظروف ، توطدت أولى الأسر الحاكمة ، في الحصول على لقب باشا من الدولة العثمانية ، ونجح في مسعاه . وتمكن حسين ابن علي في عام 1705م ، من إقامة أسرة حاكمة ثانية ظلت تحكم البلاد ، بالانقطاع حتى حصول تونس على استقلالها في عام (1957م ) ، وكانت تونس في القرنين الثامن عشر دولة مستقلة تقريبا ، إذا ماتبعنا بعض رموز السيادة ، التي حافظ الباب العالي[1] عليها . ومع ذلك لم تتمكن الحكومة العثمانية ، من استعادة سيادتها التي أفرغت من كل مضمون منذ أكثر من قرنين. وهنا يعطي لنا المؤلف ، إجمالا عن الظروف المحلية في تلك الحقبة ، فقد كان الباب العالي يستسلم ، في الأغلب للسلطة المحلية ، في الأقاليم العربية بين أيدي مجموعات أو أفراد . وإذا ما نظرنا إلى مجموع هذه السلطات المحلية ، والعناصر المكونة فإننا نرى لوحة متنوعة للغاية ، تتضمن جميع أنواع التبعية ، بدءا من الإدارة المباشرة (حلب) ، وانتهاء بشبه الاستقلال ( تونس ) ، وبهذا المفهوم فإنه من الأكثر صوابا النظر، إلى الإمبراطورية العثمانية باعتبارها كومنولث ( رابطة شعوب ) . أكثر منها بنيانا سياسيا شديد المركزية ، على أية حال إننا لا نستطيع تقديم العلاقات بين الباب العالي ، والسلطات المحلية ، إلا إذا أخذنا في اعتبارها النظام البارع ، الذي يتضمن من جانب الحكومة المركزية الخضوع ، للسلطات المحلية طالما أنها تحافظ على الجوهر ( السيادة العثمانية ) ، و أنها ملتزمة بالأهداف الأساسية للسيادة العثمانية ، الأمن الخارجي مثلا ، وكان لها على الحكام المحليين أن يلزموابإحترام الأشكال الخارجية وبعض الحقائق الواقعية ، حتى يضمنوالأنفسهم التمتع الفعل بالثمار السياسية والمادية للاستقلال .[2]

[1] . أندريه ريمون ، **المدن العربية** ، مصدر سابق ، ص 32 .

[2] . الباب العالي : الإسم الرسمي لمقام الصدر الأعظم وقد سمي بقصر الباشا ، أو الأصفي ، وباب الصدر الأعظم وقصر الميري ، وباب الوزير ، وذلك في نهايات القرن 12م ، الا أنه في عهد السلطان عبد الحميد الأول أطلق عليه الباب العالي ، حيث أصبح علما به وجب ماكان عليه . وللمزيد من المعلومات اطلع على كتاب د سهيل صابان ، مرجع سابق ص 48 .

**3 . الجانب الاقتصادي للمدن العربية خلال العهد العثماني :**

**أ - الأنشطة الاقتصادية** : لعبت الأنشطة الاقتصادية ، دورا أساسيا في تنظيم المدن العربية الكبرى ، كما يذكر لنا المؤلف أن من أهم الأسباب ، هي البنيان الحضري ، خاصة في حالة الحواضر ، التي تقع جغرافيا على المحاور التجارية الرئيسية لتلك العصور . وذلك مثل مدينتي القاهرة وحلب ، ويتصف العالم العربي في هذا المجال ، وخلال العصر الذي نحن بصدد دراسته ، تتميز بالركود النسبي بصفة عامة ، حيث أنه لم يحدث خلال هذا العهد ، ابتكارات هامة في الأنشطة الاقتصادية ، كما أن نوعية الإنتاج في عدد من القطاعات ازدادت سوءا ، و بالرغم من التقدم الذي حدث في مجال كميات السلع المتبادلة إلا أن الأنشطة التجارية كانت نمطية إلى حد كبير . كما يذكر لنا المؤلف أسباب هذا الركود : القصور في الانفتاح على الابتكارات الفنية ، والاتجاه نحو الانطواء داخل عالم يعتقدون بحكم العادة أنه متفوق على العالم الخارجي ، يجهلونه عن عمد وكان الطابع الثاني البارز لهذا التنظيم الاقتصادي هو : ضعف الأنشطة الحرفية بالنسبة للأنشطة التجارية ، ولا جدال في أن السبب الرئيسي لذلك ، كان ضعف المستوى الفني ، وضعف الإنتاجية ، وضعف مردود الإنتاج ، وبالرغم من التغيرات التي حدثت في مسارات الطرق التجارية بسبب الاكتشافات الكبيرة إلا أن الطرق التجارية حافظت على أهميتها بالنسبة للمنتجات التقليدية ( التوابل والأقمشة الشرقية ) ، والتي أصبح الغربيون يسيطرون على جزء منها ، وقد أضيف لهذه المنتجات إنتاج آخر ، وهو البن الذي أصبح أحد أسس الرفاهية التجارية لمصر ، كان هذا التفوق للأنشطة التجارية الكبيرة في مواقع الوسط من المدن العربية .

ومنذ بداية القرن الثامن عشر ، بدت ظواهر التصدع في هذا الاقتصاد ، بتأثير التغلغل التجاري الأوروبي الذي حول مسارات التجار التقليدية . و أخطر تنافس المنتجات المحلية ، ووضح لنا ذلك من خلال الأمثلة البارزة على ذلك ، لما حدث لتجار المدن الكبيرة في مصر من ضعف ، وكانت تعتبر محرك الاقتصاد المصري ، خلال ما يقرب من قرن ، وكان سبب هذا الضعف هو منافسة البن المنتج من جزر الأنتيل التي كانت تحت السيطرة الأوربية .[1]

[1] . اندريه ريمون ، **المدن العربية** ، مصدر سابق ص173.

**ب . المناطق الاقتصادية الرئيسية** : ثم تطرق بنا إلى المناطق الاقتصادية الرئيسية لدينا وسط المدينة ، كما كان الجامع يلعب دور وسط المدينة الظاهر للعيان ، وكانت تقام بجواره الأنشطة الأساسية مثل : سوق الصناعة وتجارة المنسوجات المستوردة من الشرق ، و أوروبا وفي سوق الصناعة وتجارة المنسوجات المستوردة من الشرق ، و أوروبا وفي سوق الصناعة كان يتم أيضا تبادل العملات ، الأمر الذي يلعب دورا هاما في التجارة الكبيرة . كما هو الحال من مدينة حلب، ودمشق ، والجزائر ، أما في المدن الأخرى كانت الصناعة ، التي هي النقطة المركزية للأسواق ، أقل ارتباطا بالجامع ولا تجاوره بصفة مباشرة ، كان هذا هو الشأن في بغداد وتونس وبصفة خاصة في القاهرة ، وفي مدينة الموصل أدى نقل حي الأسواق إلى فصل الصناعة عن الجامع الكبير ، وجعلها تقع على قمة مثلث تتوزع الأسواق في داخله .[1]

وكانت النقطة المركزية ، الثانية تتمثل تقليديا في للقيسارية ، وهي منشآت معلقة بالبوابات وتباع فيها البضائع الفاخرة ، وبصفة خاصة للأقمشة . وتعتبر قيسارية مدينة فاس النموذج الأكثر وضوحا ، وتضم المعاملات التجارية أعظم شأنا ( المجوهرات ، العطور ، تجار الشمع ، والمنسوجات المطبوعة ) ، كذلك هو الشأن في القاهرة التي كانت تسمى فيها القيسارية بخان الخليلي في العهد المملوكي ، في ظل حكم السلطان الغوري ، وقد وجد أيضا في وسط حي الأسواق في بغداد قيسارية لا تزال تحتفظ حتى يومنا هذا باسم خان القيسارية ، حيث كانت سلطات الحكومة السلطانية تبدي اهتماما كبيرا بتشييد هذه المنشآت هي البدستانات ، وفي استانبول كان يوجد بادستان ، أولهما شيد في منتصف القرن الخامس عشر ، وثاني في القرن سادس عشر ، وذلك لتكملة البدستان الأول ، وقد تخصص في بيع الجزائر ، وقد تأكد وجود البدستان في العديد من العواصم العربية وفي بعض الحالات ، قد لاتكون المنشاة سوى قيسارية ، ولكنهم يسمونها فيما بعد بدستان . وذلك للتذكرة بمنشآت المدن التركية الكبيرة . وكانوا في القاهرة كثيرا ما يطلقون اسم بازستان ( الاسم العربي لبدستان ) لعل السبب في ذلك هو أنه تم إنشاؤه للتجار الأتراك ، ( وقد كان المركز الرئيسي حتى القرن 16 م ) . حيث تم تشييد العديد من البدستانات في ظل العثمانيون ، ويبدوا أن البدستان القائم في مدينة الجزائر قد شيد في قلب منطقة الأسواق قبل عام

[1] . أندريه ريمون "**المدن العربية** " مصدر سابق ،ص ص 173، 174.. وللمزيد أنظر الغالي الغربي ، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288هـ / 1996م ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2007 م.

1573م . ففي ذلك المكان كانوا يبيعون العبيد ، والمغانم أي ما يحصلون عليه من حروب القراصنة ، وكانت توجد في مدينة الجزائر أيضا قيسارية . وفي دمشق تم تحديد موقع البدستان بالقرب من الجامع الكبير ومن سوق الذهب مباشرة .[1]

**مواقع الأنشطة :**

كان تجار التوابل ( العطارون ) ، وتجار المنتوجات يوجدون في أقرب المواقع من وسط المدينة ، وفي خلال العصر العثماني أضيف إليهم تجار البن ، وهو أمر منطقي بالنسبة للأنشطة تتعلق بالتجارة الدولية وبمنتجات مرتفعة الثمن بصفة خاصة ، ويؤكد ماسنيون في دراسته عن تنظيم الأسواق والحرف أن السبب الرئيسي في ثبات التصنيف القائم للطوائف الحرفية هو ركود التقنيات ، ففي القاهرة ظل سوق الخراطين ، ثابتين في مكانهما منذ عهد المقريزي ( في بداية القرن الخامس عشر ) ، وحتى كتاب وصف مصر عام 1700م ، كما أن تجار الحرير انتقلوا إلى مسافة تقل عن مائة متر وذلك من سوق الحرير في القرن خامس عشر .

ومن السهل رسم حدود مناطق وسط المدينة ، فهي حدود تلك المنطقة من الأسواق المتخصصة ذات الكثافة القصوى ، وخاصة القيساريات ، حيث تتم تجارة الجملة . ففي مدينة القاهرة وهي الحاضرة التي لا مثيل لها لقوتها بين حواضر العربية الكبيرة الأخرى. وكانت ثلاث أسواق كبيرة مزدحمة ( الغورية والحمزاوي ) والجمالية ، وخان الخليلي وتحتكر أهم الأنشطة الاقتصادية للمدينة وخاصة تجارة التوابل والبن والمنسوجات ، وخلال الفترة بين 1882 م و 1897م ، كان 68.5 بالمئة من التجار والحرفيين ممن يمتلكون حوانيتهم الخاصة في تلك الأسواق .

وتتصف المراكز الاقتصادية في المناطق العربية الكبيرة الأخيرة بوحدة معمارية أقل وضوحا ، ولكنها تمثل تمركز اقتصاديا مماثلا للتمركز الاقتصادي بمدينة حلب ، ففي الوسط الاقتصادي لمدينة دمشق يوجد 18 سوقا بين مجموع من بين 51 سوق و 35 خانا من بين 44 . كما 67 خانا من بين 57 هكتارا يوجد

[1] - أندريه ريمون "**المدن العربية** " مصدر سابق ،ص ، 174، .

11 سوقا من بين 51 سوق و 35 خانا من بين 44 . وفي وسط مدينة الموصل الذي يبلغ 10.3 هكتارا توجد تجمعات اقتصادية شبيهة بتلك الخاصة بمدينة حلب .[1]

وفي منطقة الوسط التي تقع على مسافة 100 متر من الجامع الكبير ، يوجد 66 سوقا على مساحة هكتارين، وحيث تتم جميع الأنشطة الأساسية ، هذه الأسواق هي سوق تجار التوابل ، وسوق الأتراك والصناعة وتجار الشاشة ، وسوق البركة . حيث كانوا يبيعون العبيد .

وتتصف المراكز الاقتصادية في المدن العربية الكبيرة الأخرى ، بوحدة معمارية أقل وضوحا ، ولكنها تمثل مركزا اقتصاديا مماثلا للمركز الاقتصادي بمدينة حلب . ففي الوسط الاقتصادي لمدينة دمشق يوجد 18 سوقا من بين مجموع كل قدره 44 ، كما يوجد 68 خانا من بين 57 منطقة مساحتها 7 و 8 هكتارا. وفي وسط بغداد الذي تبلغ مساحته 8 و 11 هكتارا يوجد 11 سوقا من بين 51 سوقا ، و 35 خانا من بين 44 . وفي وسط مدينة الموصل الذي يبلغ 10.3 هكتارا ، توجد تجمعات اقتصادية شبيهة بتلك الخاصة بمدينة حلب ، وفي منطقة الوسط التي تقع على مسافة 100 متر ، من الجامع الكبير يوجد 66 سوقا على مساحة 2 هكتارات ، حيث يتم تجميع الأنشطة الأساسية ، وهذه الأسواق هي سوق تجار التوابل ، وسوق الأتراك و الصناعة ، وتجار الشاشية ، وسوق البركة ، حيث كانوا يبيعون العبيد . إن مدينة الجزائر هي المدينة الوحيدة ، التي كانت تعطي الانطباع أنها مدينة ثانوية من هذه الناحية ، إذ كانت مساحة منطقة الوسط بها تبلغ 1.1 هكتارا فقط ، ويوجد بها خمس سوق من بين 40 سوقا .[2]

**ج . مقار الأنشطة الاقتصادية :**

**ج 1: الحوانيت** : كانت الحوانيت أو ( الدكاكين ) ، تنتمي إلى طراز لم يتغير منذ العصور الوسطى حتى العصر الحديث إلا قليلا ، وكنا نجده متماثلا ، بدءا من مدينة فاس حتى بغداد ، إن أوصاف هذه الحوانيت ، والتي تحدث عنها لسوفاجيه[3] بالنسبة لمدينة حلب في عصر الدولة الزنكية ، أو لين بالنسبة

[1]- اندريه ريمون ، **"المدن العربية "** مصدر سابق ، ص ص 175، 176.
[2] - نفسه ، ص 177.
[3]- سوفاجيه : مستشرق فرنسي عني بالتاريخ والآثار الإسلامية ، صار مديرا للتاريخ الشرقي في مدرسة الدراسات العليا الملتحقة بالسوربون في باريس ، وكانت رسالة الدكتوراه في مدينة حلب . للمزيد أنظر عبد الرحمان بدوي ، موسوعة المستشرقين ، مرجع سابق ، ص 352.

للقاهرة العثمانية ، أو لوت ورنو بشأن مدينة فاس ، في بداية هذا القرن تتوافق مع ما يمكننا مشاهدته اليوم في غالبية الأحياء في المدن العربية الكبيرة . ويصف لنا لين " الحانوت ، بأنه مكان صغير مربع الشكل يبلغ ارتفاعه ستة أو سبعة أقدام ، ويجاوره أحيانا مكانا آخر مماثل يستخدم كمخزن . وفي الأغلب يكون المخزن مرتفعا مثل " العلوى " في الجزائر ، وكانت أرضية الحانوت ترتفع بصفة عامة على مستوى الشارع بمقدار قدمين أو ثلاثة أقدام .[1]

**ب . 2: الأسواق** : كانت الأسواق منشآت اقتصادية غير مسبوقة بصفة عامة ومن صفاتها المميزة التخصص المهني الشديد والتركيز الجغرافي الملحوظ ، إن اتجاه الحرفيين أو التجار الذين يمارسون نفس النشاط إلى التجمع في مكان واحد ، هو سمة تقليدية للمدن الإسلامية لدرجة أنه انتهى إلى اعتبارها التزاما قانونيا ، ففي سنة 1864م صدر مرسوم يؤكد على سلطات مدينة القيروان التونسية ، بأنه لغير الممارسين لمهنة العطاردة ، و أن يعملوا في مكان آخر غير هذه السوق ، إن كل مهنة تمثل شارعا معينا كان اسمها يطلق في الواقع على ثلاثة أشياء متكاملة ( السوق ، الطائفة المهنية ، المكان نفسه ) .

كان بنيان الأسواق يتخذ أشكالا متغايرة للغاية ، في العديد من الحالات لم تكن السوق سوى حوانيت متجاورة تم بناؤها على طول أحد الشوارع أو عند ملتقى للطرق .

أيضا ، نشأت العديد من الأسواق عفوية ، عن طريق تحول الشوارع السكنية تدريجيا إلى شواطئ .

وكانت الأسواق تغلق في الليل بأبواب من خشب ، وتوضع تحت إشراف الحارس الذي يسمى ( عساس في تونس ، وحارس في حلب ) وبوابين ، ويتولى عادة أصحاب الورش والحوانيت .[2] أنظر الملحق رقم )

**ج 3: القيساريات**: تتميز وظائف القيساريات وبنيانها المعماري بالتباين والدوام ، بالرغم تغير اسمها تبعا للعصور ووفقا للمناطق ، ففي القاهرة كانوا يسمونها على التوالي " فندق ثم قيسارية ثم خان " وأخيرا سميت وكالة ( الاسم الوحيد تقريبا المستخدم في العصر العثماني ) ، وكانت التسمية المعتادة في إفريقيا

[1] - اندريه ريمون **" المدن العربية "** مصدر سابق ، ص ص 179 ، 180 .
[2] - نفسه ص ص 180، 181 .

الشمالية هي "فندق" ( يسمونها في تونس وكالة ) ، وينطقونها " أوكالة " وفي سوريا والعراق خان ( وكانت قيسارية حلب منشأة صناعية إلى حد ما ) ، وكذلك يسمونها سمارة .

ولكن التعريف الذي يقدمه فييت للقيسارية ، يصلح للجميع الأمكنة ، وفي لجميع الأمكنة والعصور تقريبا . إذ يصفها بأنها مبنى مربع الشكل ، يتخذ هيئة الرواق ، ويضع رواقا ، ويضع غرفا ومخازن وحوانيت للتجار. وكانت هذه المنشآت ، تستخدم أساسا للتجارة الكبيرة ولتجار الجملة، وفي أحيان كثيرة تتخصص للقيسارية في التجارة في سلعة معينة وتحمل اسمها، ففندق الزيت في تونس يشمل تجارة الزيت .[1]

**د: الأنشطة الحرفية** : كانت الأنشطة الحرفية ، في المدن العربية الكبيرة موضع تعليقات ، منتقصة لقدرها من جانب الرحالة الغربيين . وخاصة بدءا من القرن الثامن عشر ، حين كان ضعف المهارات في البلدان الشرقية ، بتباين بوضوح مع التقدم الحادث في أوروبا ، ومن الأمثلة الواضحة في هذا الشأن تعليقات قولني عن مصر ، والتي كانت شديدة القسوة بتنوع خاص حينما زارها في عام 1873م . وكتب قفولني ، لاتزال الحرف اليدوية " الأكثر سهولة " نوعا من الحرف البدائية كأعمال التجارة ، الحدادة، كما أنه توجد مصانع لتكرير السكر ويرتفع أسعار السكر الأبيض ، والتجارة كانت تحافظ على نشاطها بالقاهرة ، سكان المدن كانوا يمارسون الحرف مستخدمين أساليب العصور القديمة في كل شيء ، كالأقمشة المصنوعة في حلب هي منقولة عن اليونانيين ، وكانت الصناعات بدائية ورديئة ومتدهورة في كل مكان.[2]

**هـ . سمات الصناعة الحرفية** :كانت إحدى السمات الرئيسية ، المميزة للصناعات الحرفية في التقسيم الشديد للعمل ، وقد تمخضت هذه التجزئة للأنشطة الإنتاجية ، عن أعداد وفيرة من الحرف ومن المهن الحرفية ، ويقول بنيك : عن تونس في القرن التاسع عشر ، كان صنع البنادق موزعا بين ثلاث طوائف ، إذ تقوم الأولى بصنع مواسير البنادق ، الثانية بصنع الخزائن ، والثالثة تصنع أعقاب البنادق وتقوم بجمع وتركيب الأجزاء المختلفة ، ويقوم البلغجون ( صانعوا الأحذية ) بإسناد بعض المهام إلى حرفيين

[1] ـ اندريه ريمون **" المدن العربية "** المصدر السابق . ص 185 ، 188.
[2] ـ نفسه ، ص ص 192 ، 193 .

متخصصين ، حيث يقوم البشمرى بخياطة ضفيرة ، من الحرير حول الحافة الخارجية للبوابيج البسكرية ، كما يقوم " القدمجي " بتركيب الأحذية .[1]

وبطبيعة الحال ، فإن تقسيم العمل هذا كان أكثر وضوحا في مدينة القاهرة، حيث كانت الأنشطة الحرفية أكثر تقدما وتنوعا.

ولم تكن هذه التجزئة ، تعني تقييما فنيا للعمل ( الأمر الذي يمكن أن يكون له تأثير إيجابي ) ، ولكنها كانت تقييما لعملية الإنتاج ، ( الأمر الذي يدل على ضعفها ) ، وقد أدت هذه التجزئة إلى ازدياد خطورة آثار ركود التقنيات التي لم تحرز أي تقدم يذكر منذ بداية العصر الحديث .

وكان الرحالة الأوروبيون ، متأثرين بموقف متناقض مع الموقف ، في الغرب الذي يعيش في غمرة الازدهار ، واتفقوا على تأكيد رداءة الأدوات التي يستخدمها الحرفيون ، والطابع الروتيني لأساليبهم حتى و إن كانت براءتهم ، ومهارتهم تسمح لهم أحيانا ، بإنتاج سلع جيدة تماما مثل تلك التي يتحدث عنها راسل في مدينة حلب ، وحول هذه المنطقة لاتوجد مدينة أخرى معروفة لنا أفضل من القاهرة ، التي توضح لوحات مؤلف وصف مصر بدقة فائقة شروح العلماء الفرنسيين بشأنها ، لقد كان صناع القدور النحاسية ( الذين تعتبر فنونهم قريبة من الكمال ) يستخدمون نفس الأدوات التي يستخدمها زملاؤهم الفرنسيون وإن كانت أقل إتقانا.[2]

**و . موضع الصناعات الحرفية من الأنشطة الحضرية** : إن ضعف الصناعات الحرفية تظهر دراسة التقنيات المستخدمة ، وتنظيم هذه الصناعات الاجتماعية يبرز بصفة عامة ، الحقائق السلبية التي سبق ذكرها . لقد أدت رداءة بعض المنتجات بالمسؤولين السياسيين في بعض الأحيان إلى الاستعانة بالأجانب ودلك بدءا من القرن الثامن عشر ، وفي عام 1772م ، قرر علي بك أن يحضر إلى مصر أربعة ، أو خمسة عمال صناع الحديد بمنطقة بيمونت الإيطالية للاستعانة بهم في صناعة المدافع . وفي الحديد بمنطقة بيمونت الإيطالية للاستعانة بهم في صناعة المدافع ، وفي عام 1789م أجرى إسماعيل بك اتصالا مع

[1] ـ ـ اندريه ريمون **" المدن العربية "** المصدر السابق ص ص ، 193 ، 194 . للمزيد أنظر هرشيلاغ **"مدخل إلى التاريخ الاقتصادي الحديث"** تر محمد الحسيني ، دار الحقيقة، بيروت 1973م

[2] ـ نفسه ، ص 195.

قنصل فرنسا ، في القاهرة ليطلب منه إرسال عدد كبير من المهندسين ، مع عدد من العمال يمكنهم صنع مدافع ، ومواسير بنادق ، وكذلك بنائين لتشييد مباني على النيل ، وبعدها بقليل قام داي لجزائر باستخدام أوربيين في صهر المعادن وصنع المدافع . ومع ذلك لم تكن حصيلة إنتاج الصناعات الحرفية سلبية ، تماما فإن بعض المدن العربية ، تقدم لنا أمثلة على عدم خضوعها للحكم العام بالتدهور ، والذي أعلنه الرحالة ، سواء من ناحية حجم الإنتاج ، أو دوره في النشاط الاقتصادي الإجمالي ، ومن بين هذه الإنشاءات صناعة الشاشية . في تونس فقد قام الأندلسيون الذين جاؤوا للإقامة ، في تونس في بداية القرن السابع عشر ، ببعث الحيوية في هذه الصناعة ، وظل صنع القلنسواتمرتبطة بهذه الجالية التي حصلت بفضله على الرفاهية المادية والنقود .[1]

## 4 . الواقع الاجتماعي للمدن العربية خلال العهد العثماني :

يتحدث المؤلف أندريه ريمون ، عن الواقع الاجتماعي في المدن العربية ، ويؤكد على أن اختلاف السكان وتنوعهم اشتركوا في تنمية هذه المدن ، وهذا يعود إلى أنشطتهم المتباينة ، كذلك الترحال المتكرر للأفراد بسبب الربح عن طريق التجارة ، والبحث عن المعرفة والثقافة والحج ، وتحال الأفراد يؤدي إلى الإقامة النهائية ، أدى هذا إلى استقرار جاليات كبيرة من المغاربة السوريين ، والأتراك الذي وصل عددهم 25 ألف نسمة ، :ذلك تحدث عن الهجرة الداخلية لسكان الريف ، نحو المدن بسبب البحث عن الحرفة في تونس والجزائر ، كما يذكر التسامح النسبي تجاه الأقليات ومنحها استقلالا كبيرا في إدارة شؤونها الداخلية .

يرى أندريه ريمون ، أن سكان المدن العربية في العصر العثماني ، تميز بالتنوع الشديد ، وذكر في كتابه الطبقات المشكلة للمجتمع العربي العثماني وذكر في هذا الصدد مايلي :

[1]- اندريه ريمون **" المدن العربية "** المصدر السابق .ص. ص. 195 ، 198 .

**4 . 1 : الطبقة الحاكمة:** لم تكن تظم عدد كبيرا من الأفراد وأكثر عناصر هذه الطبقة أهمية هم جنود المليشيات ، أصلهم تركي .[1]

**4 . 2 : العسكريون** : مهمتهم توفير الأمن ، والمحافظة على النظام في الولايات ، إلى عدد معين من المليشيات، الأوجاق ، الانكشارية، الجمالية . ويذكر مدينة الجزائر ، وفيها حافظت الفرقة الانكشارية على طابعها التقليدي حتى القرن التاسع عشر ، ومنذ التخلي عن الديوشيرما، حيث أصبح تجنيد عساكر أوجاق الجزائر من الأناضول أساسا .

**4 . 3 : المماليك ( المرتدون)** : هم العبيد البيض ، الذين اشتغلوا وظائف عسكرية ، وسياسية أثناء حكم السلطنة المملوكية ، أثناء حكمها لمصر ، وفلسطين وسورية وجزء من بلاد العرب .[2]

**4 . 4 :العلماء والأشراف** : وهم عادة من السكان الرعايا الحضر ، يمثلون وسيط بين الحكام والرعية ومن أوصاف العلماء ، حيث أن كلمة علماء معناها " رجال الدين أو رجال القانون " المتدرجين في المؤسسات الدينية والتعليمية ( الجوامع ، المدارس ، ومدارس التعليم العالي ) . أما دورهم فيتمثل في لعب دور الوسطاء الطبيعيين ، بين الرعايا المرتبطين بهم بحكم نشأتهم والسلطات ، التي كانت تحتاج إليهم كمعاونين في مجال العدالة والحكم .

**4 . 5 : الأشراف** : سلالة النبي ، وكانوا ينتظمون داخل هيئة يرأسها " نقيب الأشراف " ، والذي يعينه عادة نقيب إستانبول ، وهي طبقة ضعيفة التنظيم ، ومنحهم العثمانيون لهم امتيازات احتراما لأسرة النبي ، وأيضا لتثبيت أنفسهم باعتبارهم من أنصار السنة ، ففي مدينة حلب خلال القرن الثامن عشر كان عددهم كبير بلغ 10 آلاف و12 ألف نسمة ويقول جان لسوفاجيه :" أنهم كانوا بين 3 آلاف أسرة .

وكان الأشراف ممثلين ، في جميع طبقات السكان الاجتماعية ، وكان الأشراف يقومون بالموازنة بين إنكشارية السلطان ، والسكان المحليين " .

---

[1] ـ اندريه ريمون **" المدن العربية "** المصدر السابق. ص ص 54 ، 55. للتوسع أنظر أحمد إبيش **" تاريخ الشام في مطلع العهد العثماني "** دار الكتب الوطنية ، ط1 ، 2010 .

[2] ـ نفسه ، ص. ص 57 ، 60 .

**4 . 6 : الرعايا (التجار والحرفيون)** : يمثل المواطنون ( الرعايا وفقا للمصطلح العثماني ) ، أي سكان المدن ، وكانوا يقومون بأعباء النشاط الاقتصادي ، بالإنتاج والتجارة ، ويلعبون دورا أساسيا في المجتمع[1].

**4 . 7 : البرجوازية التجارية الكبيرة** : كبار التجار يحتلون مكانة خاصة في غالبية المدن العربية الكبيرة المتخصصة في التجارة الدولية واسعة النطاق ، وكانت قوتهم الاقتصادية كبيرة للغاية ، وثقلهم الاجتماعية عام 1734م ترك ثروة ضخمة تقرب 50 مليون بارة ، وقد شيع جثمانه في جنازة ضخمة ومهيبة سار فيها جميع كبار الأمراء ، كما سار الأمير الحاكم على قدميه خلف جثمانه حتى المدافن . ومن بين الأسر الكبيرة التي لعبت دورا نشطا في تاريخ مدينة الموصل " الحاج علي التومة " ، تاجر كان يعيش في حي خزرج ، قام بتشييد قبة فوق قبر النبي عام 1647م ، كما قام بتشييد وترميم العديد من المساجد .

**4 . 8 :الصناع الحرفيون والتجار : " أعضاء الطوائف المهنية "**: وهم من الطبقة المتوسطة ، ففي القاهرة كان عددهم خمسة عشر ألف نسمة من بين السكان " العاملين " يقل مجموعهم عن 100 ألف بقليل ، وكان كل فرد يمتلك حانوتا أو ورشة حيث يمارس مهنته بمفرده أو بمساعدة أحد الشركاء ، وكان البعض يعيش في مساكن جماعية ، أو يقيمون في شقة و آخرون يستأجرون جزءا من منزل ، أما الأكثر غنى فكانوا يملكون البيوت التي يقيمون بها .

**4 . 9 : الأقليات** : من مميزات المدن العربية ، أنها كانت تضم عددا كبيرا ، من الجاليات ، التي لا تنتهي إلى مجموعة الأهالي المسلمين . وكانت تنتظم ، في تجمعات سميت بالطوائف تستمع ببعض الاستقلالية .

**4 . 10 :مجموعات الأقلية المسلمة**:يتوقف عدد المجموعات المسلمة " الأجنبية ، و أهميتها في المدن العربية الكبيرة المختلفة ، على عدة عوامل . كانت التجارة الدولية بطبيعة الحال ، هي العالم الرئيسي الذي دفع مجموعات كبيرة ، إلى حد ما إلى الإقامة في البلاد بصفة مؤقتة أو نهائية.[2]

---

[1] اندريه ريمون **" المدن العربية "** المصدر السابق ، ص 68 . للمزيد أنظر المدن عبد الرحمان النجدي **"الحياة الإجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني "** مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكية و توثيق المعلومات ، باريس 1988م

[2] - نفسه .ص ص 72 ، 77 .

**4 .11**: **اليهود** : كان اليهود موجودين ، في جميع البلاد العربية ، وذلك عكس المسيحيين ، من أهالي البلاد . الذين لم يستمر بقاؤهم ، إلا في بلاد الشرق الأدنى وحدها ، كما كان اليهود أيضا يقيمون في هذه البلاد منذ عهود قديمة للغاية . بل وأحيانا قبل الشتات ، وحيث لعبوا أدوارا تجارية هامة منذ القرون الوسطى ، كما مارس اليهود في المدن العربية ، يقومون بأنشطة متنوعة ، كأشكال المعادن الثمينة وأعمال الصرافة ، وفي القاهرة نجد حارة اليهود تقع جوار الصاغة ، دار سك النقود ، التجارة الخارجية .[1]

**4 . 12** : **الأوروبيون** : لم يكونوا من الأقليات ، ولا الجاليات ، فكان في القرن الثامن عشر عدد الفرنجة ، لم يكن كبيرا على أعلى مستوى . فمثلا في حلب ، لم يوجد في منتصف القرن الثامن عشر سوى اثنتي عشرة مؤسسة فرنسية ، من مارسيليا وخمس أو ست مؤسسات إنجليزية ، وبضع مؤسسات من ليجوربي والبندقية . كما سيطروا على التجارة بين البلاد العربية ، وأوروبا واجتهدوا ، في المحافظة على مركزهم الاحتكاري في الملاحة البحرية ، كما تدخلوا بفاعلية في التجارة الداخلية للإمبراطورية العثمانية ، والتي كانت تتم عن طريق قوافل الملاحة البحرية ، والتي نشطت فيها السفن الفرنسية بنوع خاص . وكان لهم علاقات وثيقة ، مع الجاليات المسيحية ، واليهودية والتي قامت بدور الوسطاء ، الذين لاغنى عنهم بسبب علاقاتهم مع السلطات الإدارية ، والتجارية المحايدة .

ومن كل هذا نستنتج ، أن السكان في المدن العربية عرف تنوعا كبيرا ، فمثلا في القاهرة نجد عشرة آلاف قبطي و ثلاثة آلاف يهودي ، وحوالي عشرة آلاف تركي ، وبين خمسة عشر وعشرون مغربي وسوري ، وخمسة آلاف مسيحي سوري وخمسة آلاف يوناني ، وألفي أرمني إضافة إلى عشرة آلاف فرد ينتمون إلا بالطبقة الحاكمة ( أتراك ومماليك ) ، أي أن المجموع كان ستون ألف شخص وهو ما يعادل ربع سكان المدينة تقريبا .[2]

ومن بين القضايا التي عالجها الكتاب نذكر:

[1] ـاندريه ريمون **" المدن العربية "** المصدر السابق ، ص84 .
[2] ـ نفسه ص ص 87 ، 88 .

**أمن المدن** ( **المؤسسات الأمنية في البلاد العربية** ) : بطبيعة الحال ،كانت المحافظة على الأمن من الاهتمامات الرئيسية للسلطات العثمانية ، سواء في استانبول أو في كل عاصمة من عواصم الولايات . وكان أمن المدن ، هو الهدف الأساسي ، أو الجزئي للعديد من الموظفين والمؤسسات والطوائف ، كما أنه يصعب تقديم وصف تفصيلي عن النظم الأمنية التي كانت قائمة في كل مدينة .

كما قدمت ميريام " هوكستر" ، في مقال نشرته تقدم فيه وصفا دقيقا ، لتنظيم الشرطة في مدينة الجزائر العثمانية . حيث كان الحاكم يتولى بذاته في بعض الأحيان مهام الشرطة ، وكانت نوادر تدخلاته مثيرة وجذابة ، مثل قصة الداي إبراهيم ، الذي كان في جولة في الميناء عام 1710م . واكتشف مصادفة سرقة خوخ ،وبرقوق من أحد المراكب الشراعية القادمة من مقاطعة بروفانس ، ثم قام بمعاقبة المذنبين على الفور .[1]

**أعمال العنف " الأمن اليومي " العادي** : يتحدث كذلك ،عن الخدمات العامة ، حيث حسب أندريه ريمون، لم يكن في المدن العربية التي درسها ما يسمى بالخدمة العامة . ولكن مساحة المدن الكبيرة وعدد سكانها ، طرح مشاكل عديدة خاصة ، بإشباع احتياجات السكانية المادية ، والتي لايمكن تركها للمبادرات الفردية وحدها ، ولهذا كان من الواجب إيجاد أشكال ، تنظيمية لتزويد هذه المدن بالمياه التي تحتاجها ، ولتوفير وسائل تنظيفها وإنارة شوارعها ولمكافحة " الحرائق ".[2]

**وسائل النقل في المدينة** : اتساع القاهرةالكبيرة ، كان سببا في تنظيم نقل الأشخاص ، والسلع كسائقوا الحمير لنقل الرجال والنساء ، واستأجراها يكون عن طريق محطات .

**توصيل المياه** : كانت المدن العربية تعاني ، من مشكلة المياه لأن المدن العربية ، تقع في منطقة مناخية قليلة الأمطار بصفة عامة ، وكانت مصادر الأمطار متغيرة بصفة دائمة في هذه المدن . ويذكر "مثلا " عن بغداد ، الموصل ، المياه يتم الحصول عليهاعن طريق حملها من الأنهار الوفيرة في جميع الفصول .[3]

---

[1] ـ اندريه ريمون **"المدن العربية "** مصدر سابق ، ص ص 107 ، 108 .
[2] نفسه ، ص ص 109 ، 110.
[3] ـ نفسه ص ص 115 ، 116 .

**5 . العمران في المدن العربية خلال العهد العثماني :**

**أ . المناطق السكنية "أسس تحديد المواقع "**: إن بنيان المدينة الاقتصادي ، يفرض نفسه إلى حد كبير على تحديد مواقع المناطق السكنية ، حيث اتجهت المناطق السكنية إلى اتخاذ مواقعها على هيئة هالات متتابعة ، وفقا لمبدأ التوزيع الإشعاعي الصادر من المركز . وهو المبدأ الذي كان سائدا بالنسبة لمواقع الأنشطة الاقتصادية ، فحاول الحرفيون والتجار الإقامة في أقرب موقع ممكن ، من أماكن عملهم ، ففي القاهرة في القرن الثامن عشر لم يكن متوسط المسافة بين الورشة والحانوت وبين المسكن يزيد إطلاقا عن 400 متر . أما حين الإبتعاد عن الوسط يظل إرتفاع المسكن وكثافته ، لأن الأراضي أقل ندرة ، والطلب عليها أقل ، كانت في متناول الشريحة المتوسطية من السكان ، بينما السكان الأكثر فقرا فكانوا يسكنون في أطراف المدينة الخارجية ، وكذلك سكان المدن لبقلدمة القادمة من الأرياف مؤخرا ، والتي تحتفظ يسلوكيات معيشية ريفية .[1]

**ب . المناطق السكنية للمدن العربية :**

**مدينة الجزائر** : كان التوزيع الجغرافي للمسكن في هذه المدينة ، نسخة مطابقة تقريبا مع تقسيم المجتمع إلى طبقة الحاكم ( الفرق العسكرية للانكشارية وقباطنة الرؤساء ) ، و إلى " الرعية " ، وهم الأهالي المحكومون ، وقد عبر هذا التقسيم عن نفسه إلى اختلافات مواقع العمائر السكنية التي سبق ذكرها .

ذكر ريمون شوارع المدينة الرئيسية ( الأبواب الثلاث : باب عزون ، باب الواد ، باب الجزيرة ) ، وكانت شبكة الطرق ذات طابع منتظم للغاية ، شوارعها مستقيمة نسبيا ، كما أن مساكنهم جميلة متينة البنيان ، وتقع بالقرب من الميناء ، ومن بين هذه المساكن قصر الرئيس يحي ، وقصر الرئيس شوبا لي بالقرب من الميناء .

[1] ـ اندريه ريمون **"المدن العربية"** مصدر سابق ، ص 150 . للمزيد أنظر كتاب ، نجيب بن مبارك **" تحفة البصائر فيذخائر مدينة الجزائر "** دار البصائر للنشر والتوزيع ، ج2 ، ط1 ، الجزائر دت .

وكانت المدينة المرتفعة ، الممتدة غرب المحور الطولي الكبير ، المؤدي من باب عزون إلى باب الواد على منحدرات الجبل . كما أن العناصر الفقيرة غير المستقرة ، من السكان هي التي كانت بباب الواد ، والمناطق المحيطة بها .[1]

إن الوضع بالنسبة لتونس ، هو على نقيض الجزائر ، إذ يمكن القيام ببعض الفرضيات ، حول جغرافية المناطق السكنية ، على أساس مؤلفات " ريقو ". عن قصور ، ودور مدينو تونس هذه الجغرافية كانت تتشابه مع مدينة الجزائر ، من حيث خضوعها لمجموعة عوامل ، يرتبط بعضها الآخر بتضاريس أرضها . وكانت الظاهرة الأساسية بلا جدال هي قوة الجذب التي مارستها المنطقة المركزية الاقتصادية الممتدة بانتظام حول جامع الزيتونة الكبير ، وقد نمت منطقة الكثافة القصوى للدور الكبير ، في جنوب وشمال منطقة الجامع ، والأسواق بصفة خاصة ، كما أن المساكن الجميلة ، كانت تقام في نصف المدينة الغربي " المرتفع " ، بينما يقيم السكان الأكثر فقرا ، في النصف الآخر المنخفض ، ومن الأمور ذات المغزى أن الحي اليهودي ، وحي الإفرنج كانا يقعان ، في هذا الجزء المنخفض من المدينة .[2]

**حلب ودمشق** : نجد المدينتين السوريتين الكبيرتين فيما يتعلق بموقعهما وبتاريخهما ، إن كل منها تقع على أرض مستوية ، وبالقرب من نهر متوسط الأهمية ( البردي و قويق ) ، ومتأثرة في بنيانها بالعهود القديمة ، وترى في كلتيهما طريقا مزدوجا بالأعمدة ينمو ممتدا بمحاذاة الأسواق ، ثم جامعا كبيرا تم تشييده في نفس موقع المعبد الروماني أو على مقربة منه ، كما أن شوارع منطقة وسط المدينة المخططة على تربيعات لا تزال قائمة ، ومع ذلك فإن عدم اتساق نموهما ، خلال العهد العثماني ، قد ترك آثارا مختلفة على كل منهما . وفيما يتعلق بدمشق ، نلاحظ تطورا مذهلا للضواحي الشمالية الشرقية والغربية ( القنوات )، والجنوبية الغربية ( السويقة ) خاصة والميدانيين ، وقد ارتبط هذا النمو ،كما عرفنا من قبل بأهمية الطرق التجارية الكبيرة ، المؤدية إلى شمال سوريا وإلى فلسطين والحجاز . وعلى العكس لم يحدث أي توسع في إتجاه الشرق ، وذلك بلا شك لوجود الحي اليهودي ، والحي المسيحي في الجزء الشرقي من المدينة ، واللذين منعا امتداد المدينة في هذا الاتجاه ، ولهذا فقد رأينا أن حي الأسواق ، هي الخلية

[1]- اندريه ريمون **"المدن العربية"** مصدر سابق ،، ص 155 .
[2] - نفسه ص 156 .

الرئيسية ، الذي يقع بين الجامع الكبير والشارع المستقيم ، وقد عاد إلى موقعه المركزي ، شرقي الشارع الكبير ، الذي كان يرتبط بين سوق ساروجا والميدان المحاذي للسوق الغربي ، وقد ساهم أيضا في العودة إلى مركز القيام بإنشاء مبان إدارية وثقافية . " أنظر الملحق رقم1

أما مدينة حلب ، أدت نفس العوامل الاقتصادية ، إلى نمو الضواحي في الشمال ، وفي الشرق على الطرق التجارية المؤدية إلى الشمال ( الأناضول ) ، والشرق ( العراق وفارس ) . وبدأ هذا النمو منذ العهد المملوكي ، ولكنه اتخذ طابعا مذهلا خلال العهد العثماني ، وفي المقابل كان توسع المدينة في الاتجاه الجنوبي ضعيفا ربما بسبب ، وجود مدافن في هذا الاتجاه . أما في ناحية الغرب بالرغم من حدوث بعض النمو ، خاصة حين تقلب المدابغ من مواقعها القديمة ، داخل المدينة إلى المنطقة الواقعة خارج باب أنطاكية . إلاَ أنَ الضَواحي في هذه المنطقة ، ظلت متواضعة ، ومحدودة بسبب العقبة المتمثلة في مجرى نهر قويق .[1]

**القاهرة** : كان الجزء الأكثر فقرا ، من الأهالي يقيم في الأطراف الخارجية المحيطة بالمدينة ، حيث كونت الأحياء الشعبية حزاما متصلا ، إلى حد ما في اتجاهات شمال ، وشرق وجنوب المدينة . وقد نمت في هذه المنطقة الكائنة على المحيط الخارجي ، أحياء سكنية ( حارات ) ، التي كانت تستخدم ، عادة كمساكن للحرفيين ، ولسكان الفقراء الآخرين ، والذين يعملون في حوانيت صغيرة بالسوق ، أو على طول شوارع التجار ، نجد البيوت الريفية ، الأحياء البرجوازية . ومن جهة أخرى ، كانت أحياء الأقليات محصورة داخل مناطق يسكنها المسلمون ، فقد كان الحي اليهودي ، يقع مباشرة بالقرب من المركز الاقتصادي المرتبط به لوجود سوق الصاغة ، كما أن الأحياء المسيحية تقع خمسة منها في المنطقة الغربية[2].

**المدن العراقية** : يتصف موقع كل من بغداد والموصل ، بصفة مميزة خاصة للغاية ، لقد أقيمت هاتان المدينتان على حواف نهر قوى ، الأمر الذي يجعلها تختلفان عن دمشق وحلب ، اللتين تطورتا من نهرين ضيفيين ومنسوب مياههما ضعيف . و كذلك تختلفان عن القاهرة التي يبتعد عن النيل بحوالي كيلو متر ،

[1]- اندريه ريمون " **المدن العربية** " مصدر سابق ، ص ص 157 ، 158 .
[2] - نفسه ، ص 156.

وقد أصبح من المحتم ، أن يكون هذا النهر القوي نقطة جذب ، للمراكز التجارية على جانبيه في الموصل وبغداد . وفي الحالتين ، تم حل مشكلة عبور نهر الدجلة ، وذلك بإنشاء جسر من القوارب .

يضاف إلى ذلك أن المدينتين كانتا في العصور الوسطى قويتين ، بهما مساحات واسعة للغاية ، وعلى هذا فقد تمت هاتان المدينتان ، خلال العهد العثماني داخل أسوارهما ، التي كان يجرى تدعيمها باستمرار لمواجهة التهديدات الخارجية ( الفارسية ) .

وإذا كانت القلعة القائمة من السور ( خلف باب معظم ) في بغداد ، قد جذبت بعض الأسواق والخانات حول محيط الميدان . فإن أهم الأنشطة الاقتصادية ، ظلت متجمعة في منطقة وسط المدينة عند انتقاء المحاور المؤدية إلى الأبواب الرئيسية ، وبمحاذاة نهر الدجلة مباشرة ، وبالقرب من الجسر الذي يعبر النهر ، ويبدو أن تقسيم بغداد إلى مناطق كبيرة بدءا من وسطها ، هو طابع تقليدي للمدينة التي تستند إلى الجانب الآخر من النهر .[1]

وفيما يتعلق بمدينة الموصل ، فقد كانت مسرحا لحادث حضري ليس له مثيل ، في أية مدينة كبيرة أخرى، ففي العهد المغولي .كانت المدينة الرسمية تحتل موقعا قريبا للغاية من جامع النورية ، والمشيد في موقع مركزي تماما ، وكانت قلعة الحصن مشيدة ، كما يبدو أن العديد من الأسواق كانت قريبة من كل ذلك ،مباشرة ، وبعد الغزو العثماني أقيم المركز الاقتصادي ، في قطاع مثلث الشكل يقع إلى الشرق بالقرب من نهر الدجلة مباشرة ، ويمكن الافتراض أن تدمير المدينة شبه الكامل في القرن السادس عشر ، وفي بداية القرن السابع عشر قد ساعد هذا الانتقال . قد تم خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، وقد وصف تافرنييه المدينة حين مر بها في عام 1644م فقال : " أنها كانت مهدمة بأكملها تقريبا ولم تكن سوى متاجرة صغيرة مريبة وقيساريات شريرة ، ثم نصب خيمته في الميدان ".[2]

**ج . أنماط المساكن " الدار التقليدية ذات الفناء في وسطها "** : يذكر أندريه ريمون أن الدار التقليدية في شمال إفريقيا ، وفي مصر و سوريا موضع دراسات تفصيلية اقتصرت على المباني من طراز القصور ،

[1] - اندريه ريمون **" المدن العربية "** مصدر سابق ص 158 .
[2] - نفسه ، ص 159 .

أو القليل مباني الدور البرجوازية ، وتتجاوب البنية العامة لهذه الدور ، وسمتها الأكثر وضوحا ، وهي وجود الصحن في وسطها ، مع ظروف مناخية محددة بدقة والتي تميز منطقة البحر الأبيض المتوسط، وهو نمط سكاني قديم وهذا يتلاءم بصورة مذهلة مع المجتمع الإسلامي حيث انتشرت بوفرة في مناطق البحر المتوسط العربية . كما أنه لم يظهر أسلوب عثماني ، في البناء يمكن التعبير عنه ، واقتصر النفوذ العثماني على تجهيزات ثانوية للغاية ، وعلى تفاصيل زخرفية لا تخلو من الأهمية ، ولكنها لم تمس التنظيم الرئيسي لهذه الدور .

ويتضح أن المغرب ، قد شكل منطقة متجانسة ، إلى حد كبير فبرغم من قصور ، ودور كل من الجزائر و تونس إلا أن التشابه . واضح من خلال الأهمية المعطاة للرواق ( السقيفة ) ، وغرف الانتظار التي يستخدمها ، رب الدار لاستقبال زواره دون دخولهم إلى الدار ذاتها ، وهذا سبب اتساع هذه الغرف وتزويدها ، بمقاعد من الحجر والرخام ووجود زخارف متقنة الصنع بصفة خاصة.

كما تتميز القصور ، والدور مدينة الجزائر ، بفناء غالبا ما يكون مربع الشكل ، ومحاط برواق تطل عليه الغرف . أما الفناء الرئيسي المستخدم للاستقبال ، فمن الممكن أن يمتد عن طريق ممرات ، وهو بسبب ندرة أراضي الفضاء المتاحة . أما تونس ، فنجد بها مجموعة من المباني الفاخرة تضم قصورا ودورا برجوازية ، وكذلك الأمر بالنسبة للقاهرة حيث نجد المباني الفاخرة ، ويتميز المعمار السكني في القاهرة ، باستمراره حتى القرن الثامن عشر ، في تطبيق مبادئ التنظيم المعماري ، وأنماط الإنشاء الموروثة عن العهد المملوكي ، وظل النفوذ العثماني مقتصرا على مساهمات زخرفيه ترتفع الدور الخاصة طابقين أو ثلاثة ، ويوجد غرف الاستقبال ، متنوعة الأشكال ، والوظائف بعضها فوق بعض ، كما أنه يصف لنا دار القاهرة .[1]

**مسكن الطبقات المتوسطية في المدن** : حيث كانت الدار ذات الفناء ، في وسطها هي النموذج شبه الوحيد للمسكن العائلي ، تمت الملائمة بين هذا الطراز البنياني ، وبين السكان الأقل غنى من أولئك المقيمين في القصور وفي الدور السابق ذكرها . وتم ذلك بتخفيض المساحات ، وتقليل عدد الطوابق وتبسيط ، وظائف أجزاء الدار المختلفة ، وهذا ما تظهره الدراسات التي أجريت على النماذج السكنية

[1] ـ اندريه ريمون **"المدن العربية "** مصدر سابق ، ص ص 227، 228 .

المختلفة بالأحياء القديمة ، في المدن مثل تونس وحلب . ففي تونس نجد دورا ذات الصحن تتراوح مساحتها بين 100 و 150 مترا مربعا ، ينتمون إلى الطبقة المتوسطة ، وفي حلب نجد البيوت التي يسكنها صغار التجا ،ر والحرفيين تشتمل على صحن في وسطها ، ولكن ذات مساحات أقل .

وفي القاهرة ، كان توجد صعوبة في التوفيق بين الرغبة في الإقامة ، في أقرب مكان ممكن من مركز الأعمال ، وبين ضرورة توفر وسائل مالية هامة للبناء ، في هذا الموقع المحجوز في الواقع للبرجوازية . وقد تم حل الصعوبة جزئيا ، باللجوء إلى نموذج للسكن الجماعي ، كما أننا نجد عمارة سكنية جماعية للتأجير ، ونجد منها نوعين يرتفع النوع الأول ، إلى طابقين أو ثلاثة فوق الدور الأرضي ، الذي يضم الحوانيت أو مخازن ، والنوع الثاني فوق وكالة ، ويضم طابقين أو ثلاثة ، كما أنه لايوجد اختلاف في مبادئ بناء الشقق . إذ يوجد في الربع طابقان أو ثلاثة وسلالم داخلية ، تؤدي إلى الشقق كما يشمل غرفة استقبال تمتد غلى مستويين بالإضافة إلى شرفة ، ويمكن أن يبلغ سكان الربع حوالي مائة شخص .[1]

**المسكن الجماعي** : كان منتشرا في أنحاء العالم العربي ، ففي فنادق مدينة فاس ، المتجمعة حول أبواب المدينة ، كان يقيم الريفيون المنتمون للقبائل المجاورة ، للمدينة والأهالي القادمون من الجبال الشمالية والمناطق المجاورة للصحاري ، وفي مدينة الجزائر كان أهالي الأغواط يقيمون بالقرب من شارع الأسواق الكبيرة .

**المسكن الشعبي** : مساكن ضيقة ، بنيت بمواد كيفما أتفق كائنة في أطراف المدينة ، كان أحد أحياء مدينة فاس ، وإحدى مناطق مدينة تونس ، الكائنة بين باب البحر والبحيرة الشاطئية . أكواخ من اللبن مغطاة بسقوف من القش ، نجد مسكن جماعي يطلق عليه اسم " الوحش " ، وقد ثبت وجوده في مصر وسوريا والحجاز ، ويبدو أنه كان من السمات المميزة للقطاعات ، الفقيرة جدا في المدن ، توصف أحواش القاهرة بأنها مساحات واسعة يقيم فيها الفقراء مع حيواناتهم ، مساحات واسعة أماكن خالية توضع فيها القاذورات ، كما أن الحوش يمكن أن يضم ثلاثون أو أربعون أسرة .كما أن أحواش دمشق كانت مكشوفة تحيطها البيوت من كل الجوانب ، ولكل بيت مدخله الخاص .

[1] ـ اندريه ريمون ، **المدن العربية** ،مصدر السابق ، صص232 ، 233 .

وفي الأخير ، يرى أندريه ريمون ، أن الإنتشار الواسع لشكل سكني ، يختلف كل هذا الإختلاف عن الصورة المعطاة تقليديا للدار العربية . يدعو إلى الإهتمام أكثر ، بالمسكن الفقير ، وإلى إعادة النظر بالنسبة لنموذج لا يتفق مع نمادج بورجوازية أخرى منتشرة للغاية ، ولا مع أشكال فردية ، وجماعية للمسكن المتوسط . إن الفكرة بأنه كان يوجد في العالم العربي مفهوم وحيد للمسكن ، لا تأخذ في الحسبان التغيرات ، التي أحدثتها تصور تاريخي طويل الأمد . [1]

[1] ـ اندريه ريمون **" المدن العربية "** المصدر السابق ه ، ص 242 .

# المبحث الثالث: تقييم ومقارنة بعض مواضيع الكتاب .

1/التقييم .

2/المقارنة .

**المبحثالثالث: تقييم ومقارنة بعض مواضيع الكتاب .**

**1 . تقييمالكتاب:**

يعتبر أندريه ريمون باحثا ، ومستشرق فرنسي زار العديد من المدن العربية ، وخلال هذه الزيارات تمكن من تأليف كتاب المدن العربية في العهد العثماني ، الذي هو محصلة جهود بدأت من عام 1955م /1956م . حيث كان يعمل باحثا بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، وقراءاته لكتاب الجبرتي وكتاب وصف مصر ولمؤلفات على باشا مبارك ، حيث كان يقوم بجولات في شوارع المدينة القديمة متسلحا " بخرائط وصف مصر "وخرائط مجمل آثار القاهرة ، وكان كتابه الحرفيون ، والقاهرة كجهود أولية ونشره سنة 1962م لمقال بجريدة التاريخ الاقتصادي الاجتماعي للشرق .

كما أنه من خلال بحثه حول المدن ، اهتم ببنيان مدينة القاهرة الحضري في العصر المملوكي ، وإلى صياغة بعض الإقتراحات حول مساهمة العاصمة المملوكية ، وسكانها في القرنين الرابع عشر ، والخامس عشر ثم إنتقل إلى دراسة المدن العربية .

ومن بين الصعوبات التي واجهته في إنجاز بحثه ، صعوبة تحديد الافتراضات التي كان يتمنى معالجتها في إطار أوسع ، وذلك مقارنة المدن التي درسها مع المدن الكبيرة الأخرى . ومما دفعه إلى تأليف الكتاب ، دحض المقولة القائلة بطابع المدن الفوضوية ، والتي تصل بنظريات سوفاجيه إلى أقصى تطرفها ، وادعائها بانعدام أي تعمير حضري عربي كلية ، وكذلك بطلان النظريات المؤسسة على تدهور المدن .

كما أنه لايمكن إجراء دراسة جادة عنها ، وعن تاريخها إلا بعد التسليم في البداية بوجود نمط تنظيمي يختلف عن ذلك النمط الخاص بالعصور القديمة ، ( بنيان مكاني منتظم ومؤسسات بلدية وحياة جماعية )، وبالعصور الوسطى ( مؤسسات تعاونية وبلدية ) ، ويرتكز هذا النمط التنظيمي على مبادئ أثبتت تطور هذه المدن ، و قابليتها في الاستمرار في الحياة . كما أن بحثه كان عبارة عن توسيع لدراسة سوفاجيه عن المدن السورية الكبيرة ، وتوسيعها إلى المدن العربية كافة في العصر الحديث .

ومن بين النتائج التي توصل إليها أندريه ريمون ، من خلال دراسته للمدن العربية خلال العهد العثماني هي : لايمكن تفسير قيام هذه المدن العربية الكبيرة بتأدية وظائفها استمرارها في ذلك ، إلاَ بسبب قوة بنيانها الداخلي الأمر الذي يتمكن من تقدير أهمية أصحاب مقولات " الفوضى الحضرية " . إن الوقائع البنيانية ، التي يجب تحليلها في كل مدينة من هذه المدن للوصول ، إلى تحليل المنهج الحضري هي التمركز الشديد في منطقة وسط المدينة مع الوجود المكثف للأنشطة الدينية ، والثقافية والاقتصادية في هذه المدينة مع الوجود المكثف للأنشطة الاقتصادية والسكنية . كما يجب أن تؤخذ في الاعتبار أيضا الظواهر التاريخية ، التي تحكمت إلى حد كبير في تطور كل مدينة ، وفي تكوين سماتها الخاصة ، هذه هي بعض موضوعات البحث التي بذل ريمون جهدا ،لاستظهارها في كتاب المدن العربية الكبرى في العصر العثماني.

والكتاب في الواقع ، موجه إلى القارئ العربي ، بصفة عامة والقارئ القاهري ، بصفة خاصة .

**2 . مقارنة بعض مواضيع الكتاب :**

**أ . مشكلة المصطلحات عند أندريه ريمون :**

يعتبر تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني ، ( 16 . 13 هـ / 16 . 19م ) جزءا مهما من تاريخ الدولة العثمانية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، لا يمكن الاستغناء عنه ، وحقبة زاهية في تاريخ الجزائر يزخر بعدة أحداث تاريخية مهمة . كما يحمل في طياته العديد من القضايا ، والإشكالات التي تتمحور حول طريقة إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية ، وطريقة دخول الإخوة بربروس إلى مدينة الجزائر ، وكذلك وصف الإخوة بالقراصة ، إطلاق مصطلح الإمبراطورية على الدولة العثمانية ، وقول أندريه ريمون أن الدولة العثمانية دخلت المدن العربية عن طريق الغزو .

**. احتلال** : في هذا الصدد يرى أندريه ريمون ، أن الإخوة بربروس احتلوا جيجل1514م ، ثم الجزائر عام 1510م ، كما قام خير الدين بتقديم الولاء ، و الطاعة إلى سليم الأول الذي عينه حاكما أو باشا " بيكلرباي " للجزائر ، ودعمه بألفين من الانكشارية( 1519م ) ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت مدينة من

البلدان التابعة للدولة العثمانية[1]. وكنقيض لمصطلح الاحتلال ، فإن مؤرخين كثر تعددت توجهاتهم حول الوجود العثماني ، ومن هؤلاء المؤرخين الذين أرخوا للوجود العثماني بالجزائر ، وحتى بالدول العربية مثل فاضل بيات في كتابه الدولة العثمانية في المجال العربي ، إن الإسبان قاموا باحتلال مدينة الجزائر ، وأن الأهالي طلبوا من حاكمهم سالم التومي ، أن يطلبوا المساعدة من الإخوة بربروس ( عروج ) للوقوف في وجه الاحتلال الإسباني . حيث أرسل أعيان ، وسكان مدينة الجزائر رسالة استنجاد إلى السلطان العثماني يطلبون فيها المساعدة ، من الدولة العثمانية لوقف الخطر الإسباني ، وسميت برسالة الاستنجاد [2].

**. القرصنة** : وصف أندريه ريمون ، الإخوة بربروس القراصنة الأتراك ، بينما المؤرخ الدكتور ناصر الدين سعيدوني ، في كتابه الجانب الاقتصادي والاجتماعي من تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني ، مصطلح الجهاد البحري ، الذي كان رد فعل مباشر على التهديدات المسيحية ، التي اتخذت أثر سقوط الأندلس في أواخر القرن الخامس عشر ميلادي . شكل حملة صليبية يباركها الباباوات بروما ، وتزكيها الحكومات الأوروبية ، وتتزعمها إسبانية الكاثوليكية ، التي بدأت تتدَخل في شؤون الزياني يتلمسان ، و الحفصيين بتونس ، وتستولي على المدن الساحلية .[3]

فالإخوة بربروس ( خير الدين و عروج ) ، حملات لواء الجهاد البحري ، في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط ، شمال إفريقيا وعلى نقيض آخر ، فإن الأوروبيين يوظفون مصطلح القرصنة للدلالة على ما كان يقوم به الإخوة بربروس في البحر ، فالجهاد البحري هو عمل شرعي ، وحق مشروع في الدفاع عن النفس.

وقد اتخذ هذا الصراع البحري ، منذ استقرار الأتراك بالجزائر أبعادا عالمية ، فاندرج في إطار النزاع بين القوتين العالمين المتصارعتين ، للفوز بالسيادة على حوض البحر المتوسط ، الذي أصبح ميدانا للصدام

1- اندريه ريمون "**المدن العربية**" المصدر السابق ، ص 23.

2- فاضل بيات "**دراسات تاريخ العرب في العهد العثماني** " مرجع سابق، ص 47 .

3- ناصر الدين سعيدوني ، الشيخ المهدي بوعبدلي "**الجزائر في العهد العثماني** المؤسسة الوطنية للكتابص 43 .

بين القوة الإسلامية ، والقوة المسيحية ، وكذلك مابين سنة 1528م / 1584م ، من شن ثلاثة وثلاثين غارة ناجحة على السواحل الإسبانية ، أنقذوا أثنائها كثير من الأندلسيين المهددين بالتنصير ، أو الموت ومن الموت ومن الغارات نذكر : التي شنها أيدين رايس وصالح رايس سنة 1529م ، بأمر من خير الدين ، وخلالها قاموا بنقل مسلمي الأندلس .كذلك العمليات الحربية التالية ( حسن فنزيانو ، مراد رايس ) ، وما ساعد على ازدياد نشاط البحرية الجزائرية ، التحاق كثير من البحارة الأتراك الأندلسيين بالجزائر للعمل في البحرية ، ومجيء جماعات من الأوروبيين للمشاركة في الغارات البحرية للحصول على الغنائم ، والأرباح ومنهم من وقع في الأسر ، واعتنق الإسلام واستقر بالجزائر ، وأغلبهم من الهولنديين ، الإغريق ، الهولنديين ، الإسبان .[1]

**الإمبراطورية:** يرى أندريه ريمون أن مصطلح الإمبراطورية ، في قوله " وصول الإمبراطورية إلى أقصى توسع لها في نهاية القرن السادس عشر ، يعني أن السيطرة بالقوة على المدن العربية [2]، وفي نفس الصدد نجد روبين مانتران في كتابه " تاريخ الدولة العثمانية " ، الذي يقول تاريخ الإمبراطورية العثمانية ، كونهما مستشرقين فرنسيين ، فهم ينظرون إلى الدولة العثمانية على أنها إمبراطورية ، وعلى غرار هذا نجد الدكتور العربي اسماعيل ياغي ، في كتابه الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث الذي يعبر عن العثمانيون على أنهم مسلمون فاتحون للمدن العربية ، وذلك لاستنجاد العرب بهم وحمايتهم من الأخطار الأجنبية[3].

**ب . التقسيمات الإدارية في مصر** : أما في يخص النظام الإداري ، فيرى أندريه ريمون أن الدولة العثمانية كان نظامها نسبيا ، وأن الإمبراطورية مقسمة إلى إيالات [4]( ولايات ) وهذه الأخيرة ، إلى سناجق أصبح هذا التنظيم متغيرا بعد ، وصول الدولة العثمانية إلى أوج قواها في نهاية القرن السادس عشر . كما نجد 32 إيالة مقسمة ، إلى 279 سنجق من بينها بغداد ، البصر ، حلب ، الشام ،

1- ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، مرجع سابق 44 .

2- أندريه ريمون "**المدن العربية** " مرجع سابق ، ص 5 .

3- روبين مانتران "**تاريخ الدولة العثمانية** " دار الفكر للنشر والتوزيع ، ط 1 ، القاهرة سنة 1999م .

4- ايالات : اكبر التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية ، فقد كانت الدولة مقسمة إداريا الى الإيالات إلى سناجق ، والسناجق إلى أقضية ، والأقضية الى نواحي ، والنواحي الى قرى . للمزيد إطلع على د سهيل صابان ، مرجع سابق ص 45

طرابلس السورية ، اليمن ، مصر ، طرابلس الغرب وتونس والجزائر ، ويذكر أن هذه التقسيمات كانت معقدة وغير ثابتة ،[1]أما فاضل بيات فيرى أن الإيالات العربية قسمت إلى 18 ولاية ، ويذكر الولايات مع تواريخ التأسيس ( 1517م / 1864م ) . ونذكر بعض هذه الولايات ولاية العرب ، إيالة الشام سنة ( 923هـ / 1517م ) ، إيالة حلب ( 950هـ / 1549م) ، إيالة الرقة ( 944هـ / 1516م) ، إيالة صيدا ، صفد ، بيروت ( 1071م ) ، إيالة شهر زول ( 968 هـ / 1560م ) . ( 972هـ / 1564م) إيالة الموصل ( 994هـ / 1586م) .[2]

كما يقول أندريه ريمون ، أنه يتولى الحكم في الولاية حاكم ، والي يقوم الباب العالي وتم تعيينه وفقا لتسلسل رئاسي محدد ، وذكر الإيالات يستند إلى حكام من أعلى الرتب ، وهي رتبة وزير ( بيكلر باي ) مع منحه لقب باشا [3]، أما فاضل بيات فيرى أن كل إيالة تنقسم إلى عدد من الأولية وأن تشكيلات اللواء لا تتعرض بشكل كبير إلى التغييرات ، فإن الإيالات تتعرض بشكل متواصل إلى تغيير التوسع أو التقلص ، والسبب في هذا التغيير يعود إلى الظروف المحيطة بالإيالة نفسها كأن تكون كبيرة أو تتعرض إلى هجمات خارجية أو تحدث فيها اضطرابات داخلية .

وعلى رأس الإيالة نجد بكلربكي[4]، وهنا لا نجد هذا المصطلح يقصد به أمير أي من الأسرة الحاكمة ، بل كان من يتولى إيالة أو سنجق يحمل هذا اللقب ، نجد كذلك مصطلح الوالي ، ولكن بشكل ضيق جدا ، أما دفاتر التعيينات في السناجق وكذلك الوثائق الرسمية ، فقد استخدم فيها على الأغلب مصطلحبكلربكي ، وأحيانا ميرميران كذلك لفظ محافظ ومتصرف أيضا ، وأستخدمت " محافظ للدلالة " بالأكثر على ينوب عن البكلربكي الأصلي في أدارة الإيالة عندما يكون الأخير خارج الإيالة ، أما لفظ متصرف فاستخدمت بمعنى " المتصرف على ...." أي المتولي ، وفي مصر استخدم مصطلحوالي للدلالة

1 . اندريه ريمون"**المدن العربية في العهد العثماني**" مصدر سابق ص22 .

2- فاضل بيات "**الدراساتتاريخ العرب في العهد العثماني** " المرجع السابق ، ص 57 .

3- اندريه ريمون "**المدن العربية** " مصدر سابق ، ص22 .

4-ميرميران : يقابله في العربية أمير الامراء .

على مأمور الأمور الضبطية الذي يتجول ليلا ، ونهارا داخل المدينة ( حبس مثيري الاضطرابات فيها )[1] .

**ج . المقارنة في الواقع الاجتماعي :**

أما فيما يخص الجانب الاجتماعي ، فوسائل النقل في المدن العربية حسب أندريه ريمون ، فيرى هذا الأخير أن اتساع القاهرة كان فيه ( سائقو الحمير ، طوائف لنقل الرجال والنساء وطائفة واحدة لنقل البضائع ، وكذلك طائفة الجمالين ( سائقو الجمال ) لنقل البضائع في بولاق ومصر العتيقة ، ويمكن استجار الدواب في مواقف ( المحطات ) وتكون أجرة الحمير حسب طول مسافة الرحلة .[2]

بينما يرى المؤرخ عبد العزيز محمد عوض ، في كتابه الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864م / 1914م ، أن من وسائل النقل الشائعة في العهد العثماني الأول هي الدواب والجمال والخيل والحمير ، وقد بقيت حرفة الحمار ، أو الركاب رائجة في دمشق حتى ظهور العربات ، كما بقيت قوافل الجمال الوسيلة الوحيدة للنقل والانتقال في بر الشام حتى منتصف القرن التاسع ، وبواسطة الجمال لعب البدو دورا هاما في الحياة الاقتصادية ، ليس في سورية فقط ، بل في جميع الولايات العربية ، فقد كان المنتجين للإبل والمزودين لجارة القوافل بجمالهم .

وضمت القافلة دليلا بدويا وعددا من الحراس المسلحين ، يمثلون العشائر التي تمر القافلة من أراضيها ، بواسطة هذا التمثيل الرمزي ، كانت العشائر مسؤولة عن حماية القافلة ونالت لقاء هذه الحماية نصيبا عادلا من الأجر وكانت تجارة القوافل بين دمشق والمدن السورية والعربية تستغرق وقتا طويلا ، فمثلا كانت مدة مسيرة القافلة بين دمشق وبيروت ، أو صيدا مدة أربعة أيام وبين دمشق وطرابلس الشام مدة ستة أيام ، وبين دمشق والقاهرة من عشرين إلى خمسة وعشرين يوما ، وبين دمشق وبغداد من ثلاثين إلى أربعين يوما .

---

1- فاضل بيات "**دراسات تاريخ العرب في العهد العثماني** " مرجع سابق ص 51.

2- اندريه ريمون "**المدن العربية**" مصدر سابق ص115 .

ولكن طرق القوافل لم تكن آمنة بالإضافة ، إلى أن الطرق كانت صعبة المسافات بعيدة، فمثلا كانت القوافل بين المدن السورية كحمص ، وطرابلس فمثلا تتعرض الغارات للصوص والأشقياء.[1]

**د . المقارنة في الجانب العمراني :**

يرى أندريه ريمون ، أن التوزيع الجغرافي لمدينة الجزائر حسب طبقات المجتمع إلى طبقة الحكام القباطنة والرؤساء ، وحتى الرعية وكذلك يذكر المنطقة التي تمر عبرها شوارع المدينة بالأبواب الثلاثة : وهي باب عزون ، باب الواد ، باب الجزيرة ، كما ذكر حي الرؤساء الذي يتواجد بمدينة الجزائر وقصر الرئيس يحي وقصر الرئيس شوبا لي ، وقصر مامي أرناؤوط ، وقصر حميدو ....

بالإضافة إلى تطرقه إلى المدينة المرتفعة غرب المحور الطولي الكبير المؤدي من باب عزون إلى باب الواد على منحدرات " الجبل " ، والتي تستخدم كمنطقة سكنية للأهالي المنتمين إلى الطبقة الوسطى وممارستهم للأنشطة الحرفية والتجارية .

ذكر كذلك الأحياء وقال أن الحومات ، مفرد حومة وقال بأنه يجهل كيف كان السكان ، موزعين داخل منطقة الجزائر ، والعناصر الفقيرة كانت تتمركز حول الأطراف الخارجية المحيطة للمدينة ، وكذلك المناطق المحيطة بباب الواد ضمت العناصر الفقيرة ، وغير المستقرة من السكان .

ومن الملاحظ على وصف أندريه ريمون لمدينة الجزائر ، أنه وصفها وصف عام ، عكس المؤرخين[2] الآخرين الذين تناولوا موضوع مدينة الجزائر بدقة ككتاب إيالة الجزائر أ . ليسور ، وويلد ، رحلة طريفة في إيالة الجزائر بدقة ، حيث يصف منظر عام لمدينة الجزائر أنه ، وصفها بإيجاز عكس المؤرخين الآخرين الذين تناولوا موضوع مدينة الجزائر ، الذي يصف مدينة الجزائر تكتسي مظهرا رائعا ويصف منظرها ذات البياض الناصع ويرد في كتابه وصفا لباب الواد ، باب عزون وكذلك مقهى مغربي ، الذي كان يجتمع فيه الأهالي لاحتساء القهوة ، والتدخين وكذلك باب الواد ، وذكر الباب الرابع لمدينة الجزائر الذي ، لم يرد

1 –عبد العزيز محمد عوض ، أحمد عزت عبد الكريم "**الإدارة العثمانية في ولاية سوريا**" دار المعارف ، مصر ، 1864 م/1914 م ص ص 270-271

2–اندريه ريمون " **المدن العربية** " مصدر سابق ، ص 218 .

ذكره في كتا أندريه .كذلك يصف المساجد والنوع المعماري للهندسة المغربية ، كما تطرق إلى حي باب عزون وديارة التي تحتوي ، على دكاكين التي يوجد بها خياطو البرانس ، والبياطرة والسراجون ، وأخيرا كل التجار المزودين بالأدوات اللازمة لأهل الريف .[1]

1- أليسور وويلد ، رحلة طريفة الى إيالة الجزائر ، دار المعارف للنشر والتوزيع د.ط ، د.ت. ص35

# الخاتمة

**الخاتمة:**

ومن خلال دراستنا لكتاب أندريه ريمون توصلنا إلى النتائج التالية :

1 . يعتبر هذا الكتاب مرجعا مهما من الدرجة الأولى في تاريخ المدن العربية في العهد العثماني ، لاعتماده على أمهات الكتب أمثال الجبرتي في كتابه " عجائب الآثار في التراجم والأخبار " ، سوفاجيه وكتابه المدن السورية الكبيرة ، ابن أبي دينار في كتابه وصف مصر ، المقريزي ، مؤلفات علي باشا ، أحمد بديري الحلاق في كتابه حوادث دمشق.

2 . الكتاب يقدمدراسة واضحة وشاملة للمدن العربية (القاهرة ،دمشق ،حلب ، العراق ،فلسطين ، الجزائر ، تونس)حيث درس هذه المدن دراسة دقيقة من خلال زياراته التي دامت ثلاثين عاما (30سنة) ،واعتماده على الأرشيفات .

3.عمل العثمانيون في المجال الإداري على تقسيم العالم العربي إلى إيالات ، وسناجق وألوية، وعينت عليها حكاما يرجعون في تسييرها إلى الوالي الذي يرجع بدوره إلى السلطان العثماني ، وكان الغرض من وراء ذلك هو تسهيل تسيير شؤون البلاد العربية وتنظيمها وعليه مثل الحكام دور السلطان في هذه المناطق .

4 . الواقع الاجتماعي، تميز بتنوع سكان المدن العربية وبالنظام الطبقي ، كما عالج لنا المؤرخ بعض القضايا الاجتماعية كالأمن في المدن ، وأعمال العنف ، وكذلك وسائل النقل في المدينة ، وكيفية توصيل المياه للمدن العربية .

5 . الأنشطة الاقتصادية ، لها دور في تنظيم المدن العربية الكبرى ، وكذلك المناطق الاقتصادية الرئيسية للمدن ، ، ( الحوانيت ، الأسواق ، القيساريات ) ، بالإضافة إلى السمات الرئيسية المميزة للصناعات الحرفية .

6 .النشاط الاقتصادي ، يفرض نفسه على تحديد مواقع المناطق السكنية للمدن ، وصف لنا مدينة الجزائر وشوارعها الرئيسية ، و مدينة حلب ودمشق من خلال موقعهما وتاريخهما ، كذلك مدينة القاهرة

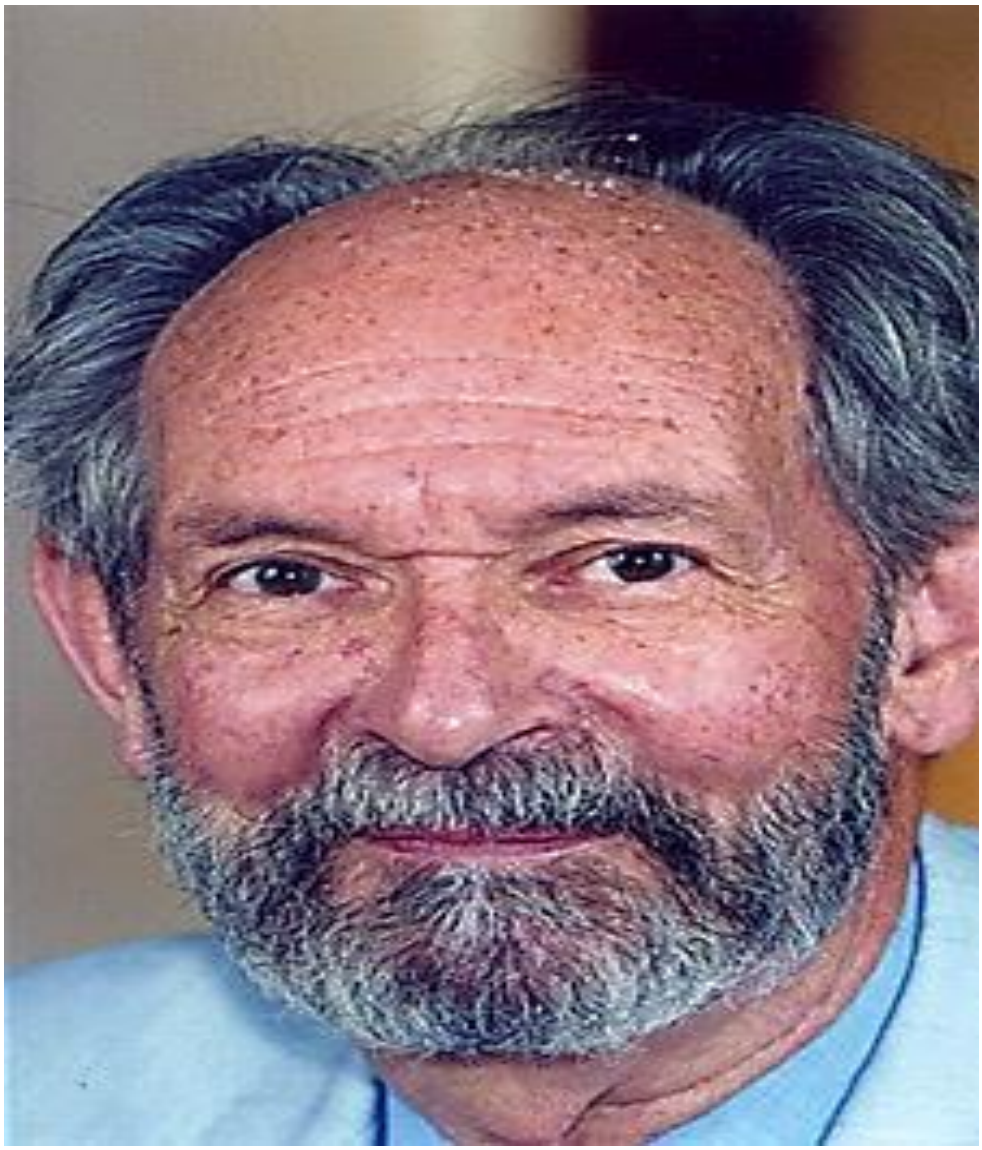
، المدن العراقية ، بالإضافة إلى أنماط المساكن في المدن العربية " الدار التقليدية ، مسكن الطبقات المتوسطية في المدن ، المسكن الجماعي " .

7 . يتميز ريمون بالنظرة الموضوعية ، والرغبة الصادقة ، من خلال ما لمسناه في كتابه للتعرف ، على الحضارة العربية ، والإسلامية ونقلها إلى قارئ اللغة الفرنسية ، كما أنه يهم القارئ والمثقف ، و المختص العرب بالدرجة الأولى ، في التاريخ والحضارة العربية والإسلامية .

# الملاحق

# الملحق رقم (01)

**الصورة الشخصية لاندريه ريمون**



[1] https://www.google.dz/search?q=اندريه+ريمون تاريخ الإطلاع: 04-03-2018م على الساعة 11:30.

# الملحق رقم (02)

**صورة توضح تكريم لاندريه ريمون في القاهرة**



[11] https://www.google.dz/search?q=اندريه+ريمون تاريخ الإطلاع: 04-03-2018م على الساعة 11:30.

# الملحق رقم (03)




[1] الواجهة الامامية لكتاب **" المدن العربية الكبرى في العهد العثماني "** اندريه ريمون ص 1 .

# الملحق رقم (04)

هذه ترجمة كتاب

André Raymond

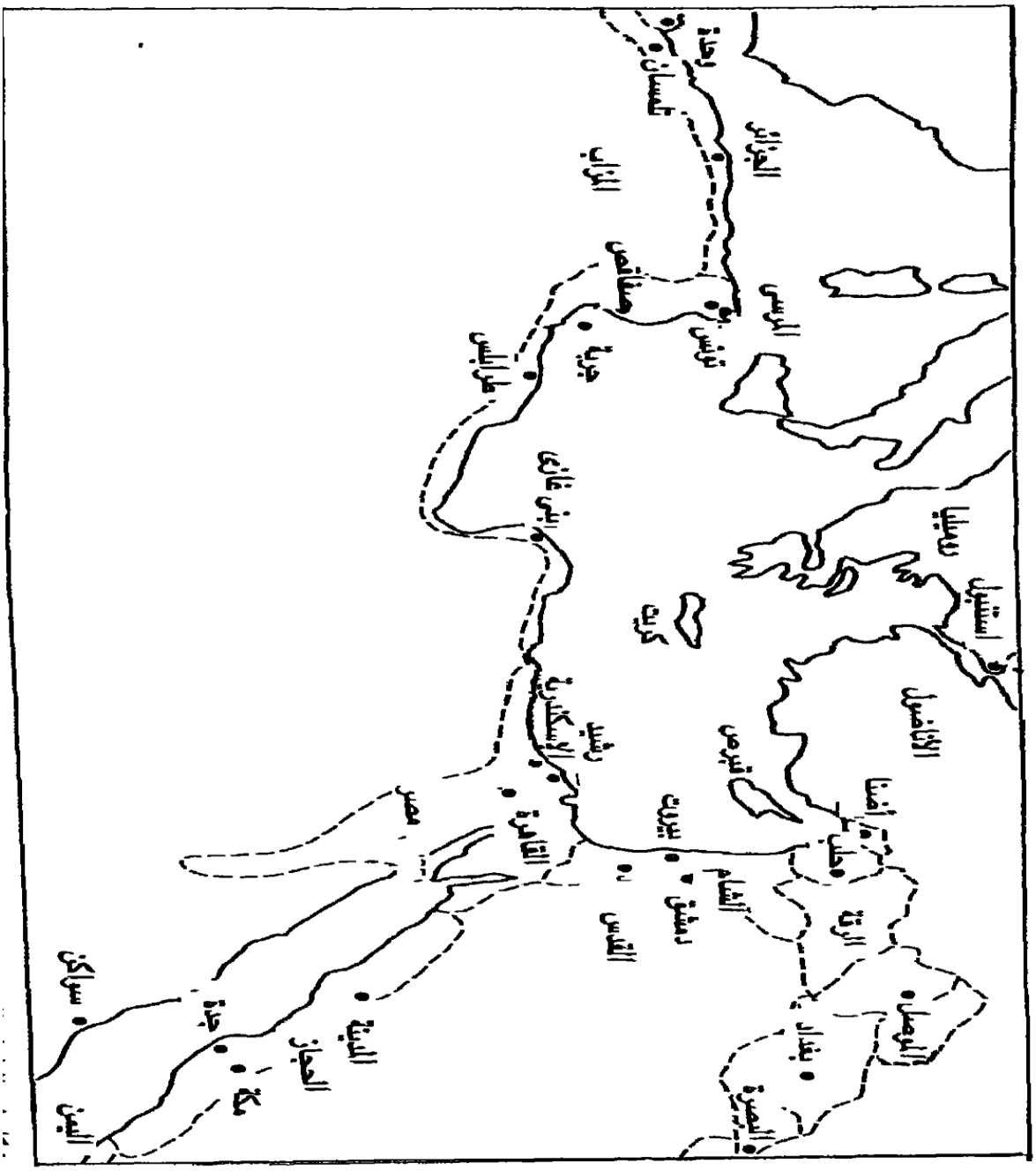
# Grandes villes arabes à l'époque ottomane



Sindbad
1 et 3 rue Feutrier
Paris 18

[1]صورة لكتاب **" المدن العربية الكبرى في العهد العثماني "** اندريه ريمون ص 4

# الملحق رقم (05)




1-الولايات العربية لامبراطورية العثمانية في بداية القرن السابع عشر ص .26

# قائمة

# المصادر والمراجع

**قائمة المصادر والمراجع:**

**أ . المصادر :**

. الشناوي عبد العزيز" **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها** "مكتبة الأجلو المصرية ، ج1 ، شارع محمد فريد القاهرة ، س 2004 م .

. الصباغ ليلى " **دراسات في تاريخ الغرب الحديث والمعاصر**"، مطبعة ابن حيان دمشق 1981 ، 1984م .

. المحامي محمد فريد " **تاريخ الدولة العلية العثمانية** " دار الجبل ، ط1 ، س 1977 م .

. ريمون اندريه " **الحرفيون والتجار في القاهرة في القرن الثامن عشر** "المجلس الأعلى للثقافة ط1 ، س 2005 م .

. شمس الدين نجم زين الدين "**تاريخ الدولة العثمانية** " دار المسيرة للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2010م / 1430هـ .

. غرايبية عبد الكريم " **تاريخ العرب الحديث** " الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1984 م .

. غربي غالي ، " **دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي** ( **1288م /1916م** ) " ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية بن عكنون ، الجزائر 2007 م.

. مانتران روبير " **تاريخ الدولة العثمانية** " دار الفكر للنشر والتوزيع ، ط1 ، القاهرة 1993م .

. ياغي اسماعيل أحمد " **العالم العربي في التاريخ الحديث**" العبيكان ، ط1 ، ج1 ، الرياض

. ابن حموش مصطفى **"مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها "** دار الأمة للنشر والتوزيع ط1 .

. النجدي عبد الرحمان " **الحياة الإجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني** " مركز الدراسات العثمانية و والموريسكية وتوثيق المعلومات .

. أوزتونا يلماوز " تاريخ الدولة العثمانية " منشورات مؤسسة فيصل للتمويل بتركيا ، ج ، 1 اسطنبول ، سنة ، 1999م .

. ايبيش أحمد " **تاريخ الشام في مطلع العهد العثماني**" ط 1 ، دار الكتب الوطنية 2010م .

. بدوي عبد الرحمان " **موسوعة المستشرقين** " دار العلم للملايين ط3 بيروت ، 1993م .

. بن إياس الحنفي محمد بن أحمد المصري " **بدائع الزهور في وقائع الدهور** " مطابع الشعب للنشر والتوزيع ، القاهرة 1970.

. بن مبارك نجيب " **تحفة البصائر في ذخائر مدينة الجزائر** " دار البصادر للنشر والتوزيع ، ج1 د ط ، الجزائر د ت .

. بيات فاضل " **دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني** " روية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية ، أويا للطباعة والنشر ، ط1 .

. بيات فاضل "**الدولة العثمانية في المجال العربي دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوءالوثائق والمصادر ( مطلع العهد العثماني / أواسطالقرن 19)** " نيسان أفريل ، سنة 2017م .

. تعيسي يوسف " مجتمع **مدينة دمشق مابين ( 1772م / 1800م )**" دار فلاس ، ج1 ، دمشق س 1986م .

. حسنين إبراهيم محمد " **تاريخ الدولة العثمانية** "دار التعليم الجامعي الإسكندرية .

. ريمون أندريه " **المدن العربية في العهد العثماني** " تر ، لطيف فرج ، دار الفكر للدراسات ، ط1 ، 1991م .

. ريمون اندريه " **المصريون والفرنسيون في القاهرة 1798 م/ م1801** " تر بشير السباعي 2001م

. زي هرشيلاغ "**مدخل الى تاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط** " تر محمد الحسيني ، دار الحقيقة بيروت 1973م .

. سعيدوني ناصر الدين و بوعبدلي الشيخ المهدي " **الجزائر في التاريخ في العهد العثماني**" وزارة الثقافة . السياحة المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر سنة 1984م .

. سعيدوني نصر الدين سعيدوني " **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني** " المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 م .

. عطا الله الجمل شوقي " **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث** " مكتبة الأجلو المصرية ،د ط ، س 1977 م.

. عطا الله شوقي الجمل " **المغرب العربي الكبير في العصر العثماني** " مكتبة الأنجلو المصرية ط1 ، 1977م .

. عودة محمد عبد الله ، الخطيب ياسين ابراهيم " تاريخ العرب الحديث " الأهلية للنشر والتوزيع دط ، عمان 1989م .

. فتال هند و شكري رفيق " تاريخ **المجتمع الحديث والمعاصر**" بيروت 1988م .

. متولى أحمد فؤاد" **الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر العربية والتركية المعاصرة له** " ، دار النشر القاهرة ، ط1 ، 1414هـ / 1959 م .

. محمد عوض عبد العزيز " **الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864 / 1914 م** " تقديم د/ عبد الكريم عزت ، دار المعارف كرونيش النيل بمصر، القاهرة 1119م .

. محمد عوض عبد العزيز ، عبد الكريم أحمد عزت " الإدارة العثمانية في ولاية سورية " دار المعارف مصر ، س 1864م / 1914م .

. وولد أليسور " **رحلة طريفة إلى إيالة الجزائر**" دار المعارف للنشر والتوزيع د.ط، د.ت.

( 1418م / 1997م ) .

**ب . المراجع:**

**ج– الموسوعات :**

. العقيقي نجيب " **المستشرقون** " دار المعارف ، ج1 ، ط3 ، مصر .

**.** بدوي عبد الرحمان " **موسوعة المستشرقين** " دار العلم للملايين ، بيروت ، يوليو 1993 م .4

. غربال محمد شفيق " **الموسوعة العربية** " مكتبة العرب المجلد 2 سنة 1962 م .

. صابان سهيل " **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية** "مراجعة عبدبركات محمد حسن ، دط ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 2000م .

**د- المواقع الإلكترونية :**

fawaz **alberthourani biography**. tufts university.April- 2000.Leila

https / journal . opendition . org / remmm / 7945/ 16 avril 2018 / 10:30.

Ire mam . cnrs . fr/ spip. Php ? article- 433/ / 18 avril 2018 / 15:30.

# الفهرس

**الفهرس:**


| المحتويات | الصفحة |
|---|---|
| شكر وعرفان | |
| إهداء | |
| مقدمة | أ |
| المبحث الاول: دراسة الكاتب والكتاب | |
| 1/دراسة الكاتب | 07 |
| 2/دراسة الكتاب | 14 |
| المبحث الثاني: تلخيص محتوى الكتاب | |
| 1/ أوضاع المدن العربية قبل وأثناء التواجد العثماني بها | 19 |
| 2/التنظيمات الادارية للمدن العربية في العهد العثماني | 23 |
| 3/ الجانب الاقتصادي للمدن العربية في العهد العثماني | 31 |
| 4/الجانب الاجتماعي للمدن العربية في العهد العثماني | 38 |
| 5/ الجانب العمراني للمدن العربية في العهد العثماني | 43 |
| المبحث الثالث: تقييم ومقارنة بعض مواضيع الكتاب | |
| 1/التقييم | 51 |
| 2/ مقارنة بعض مواضيع الكتاب . | 52 |
| خاتمة | 59 |
| ملاحق | 62 |
| مصادر ومراجع | 67 |